كتاب في جريدة
أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996
عدد 100 - الأربعاء 6 كانون الاول (دسمبر) 2006

الأعمال الشعرية
«الحالم الممتزج بالهواء»

جورج شحاده

ترجمة و رسوم أدونيس





الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية



الشيخ محمد بن عيسى الجابر و السيد كويشيرو ماتسورا

«كتاب في جريدة»
مائة عدد و ربع مليار كتاب...

ولد «**كتاب في جريدة**» كفكرة عملاقة تخرج عن المألوف أو السائد في المشاريع الثقافية التقليدية في العالم وبالأخص في الوطن العربي.. ولكن التحديات التي ولدت معه كانت تَكَبُرُ وتتلاحق بموازاة مسيرة التحقق والبناء التي حملها تحت سقف منظمة اليونسكو وبمؤازرة رؤساء تحرير كبريات الصحف اليومية العربية الذين أقاموا، بمشاركتهم وإصرارهم على إختيار مختلف الصعوبات والعوائق، صرحاً ثقافياً متميزا في المجتمع العربي ومنحوا للإعلام دوراً رائداً في بناء الإنسان العربي المعاصر.

إلى جانبهم وقف المثقفون والأدباء والدارسون وهم منهل الإبداع ومنتجو الثقافة يؤسسون بهذه التجربة الحضارية الأولى من نوعها حاضرة ثقافية ترقى إلى التحديات التي تواجهها الأمة العربية على أبواب القرن الحادي والعشرين.
كل هؤلاء إلتقوا تحت قبة المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة – اليونسكو– التي كان لها الفضل الأكبر في إطلاق هذه المسيرة مُستلهمةً من نجاح تجربتها الأولى في أميركا اللاتينية وإسبانيا، «Periolibros» ولكن التجربة العربية «**كتاب في جريدة**» التي استلمت «الشعلة الأولمبية» للكتاب ذهبتْ أبعد من التجربة الأم التي توقفت بعد ست سنوات في العدد رقم (66)؛ وبهذا تكون المنطقة العربية قد حققت الرقم الأكبر في عديد السنوات والإصدارات في مواجهة التدهور الحاد الذي تعانيه الحاضرة الثقافية العربية في ميدان نقل المعرفة والقراءة وإشاعة الفنون، حيث أن أرقام الإحصاءات التي تصدرها الجهات الدولية المختصة كاليونسكو UNESCO والـ UNDP وغيرها تؤشر بخطر محدق يتهدد الثقافة العربية في مواكبة الانفجار المعرفي والعلمي والفني في العالم على أعتاب هذه الألفية الثالثة.
إن زكتاب في جريدس الذي انطلق قبل عشر سنوات شهد ولادة مشروع جديد يتيح لعموم الناس الوصول إلى أهم الأعمال الادبية والفنية لكبار الادباء والفنانين العرب، كما يهدف في إطار جهود منظمة اليونسكو للترويج للحوار بين الحضارات عبر توزيع ونشر المعرفة على أوسع شريحة من الناس في المنطقة العربية شهرياً في الصحف دون أي تكلفة مالية. إن تطور هذه المبادرة الإقليمية أمر مذهل خلال السنوات العشرة الماضية من نشر «**كتاب في جريدة**»، حيث تم توزيع مئة كتاب بمعدل مليونين ونصف مليون 2.500.000 كتاب لكل إصدار على كافة الدول العربية، وبهذه الطريقة يكون قد أهدى هذا المشروع قرابة ربع مليار كتاب وصل إلى شريحة من القراء لم تألف التعامل من قبل مع النتاج الثقافي والإبداعي، ولهذا فإن علينا النظر إلى هذا الإنجاز على أنه الأول في المنطقة العربية من حيث الأهمية وعدد الكتب الموزعة والمشاركة الفعّالة التي ولّدتها.

إنطلاقا من هذه المحصلة الإيجابة الكبيرة والتي ترُدُّ على الحاجات الأساسية للمنطقة العربية في ميدان نشر المعرفة والإندماج الثقافي فإننا نهنىء كل القائمين على هذه التجربة طيلة العشرة سنوات المنصرمة من عمرها من رؤساء تحرير الصحف العربية الشريكة والهيئة الإستشارية والمؤسسة الراعية والهيئة التنفيذية في بيروت آملين لهذه المسيرة الاستمرار والتطور الدائمين.

السيد كويشيرو ماتسورا
مدير عام منظمة اليونسكو
UNESCO

الشيخ محمد بن عيسى الجابر
المبعوث الخاص لمدير عام منظمة اليونسكو
للتربية والتسامح والسلام والديموقراطية
رئيس مؤسسة MBI Foundation

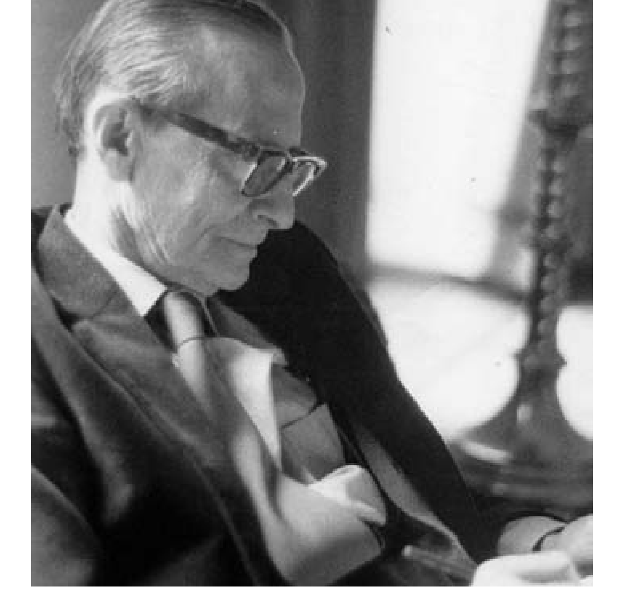


UNESCO



الأعمال الشعرية

جورج شحاده



مركز النهار للأبحاث والمعلومات



أدونيس

جورج شحاده (1989-1905)

ولد جورج شحاده في 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 1905 في مدينة الاسكندرية.

• بدءاً من السنة 1944 عمل في مدرسة الآداب العليا الفرنسية في بيروت مع الناقد الفرنسي المشهور غابرييل بونور Gabriel Bounoure مساعداً، ثم في البعثة الثقافية الفرنسية، مستشاراً.

• في السنة 1928 طبعت له في باريس دار منشورات الفكر اللاتيني، على نفقته الخاصة، مجموعته الشعرية الأولى «شرارات» (Etincelles)، رفضها لاحقاً، ولم يعد نشرها.

• في السنة 1930 ظهرت له قصائد في مجلّة (Commerce) التي كان يديرها بول فاليري، وليون–بول فارغ، وفاليري لاربو (Paul Valéry, Léon-Paul Fargue, Valéry Larbaud). وأعجب بها بول إيلوار، فعرّفه بحلقة الشعراء السّورياليين.

• في السنة 1933 قام برحلته الأولى إلى فرنسا، حيث تعرّف إلى سان – جون بيرس -(Saint John Perse) وجول سوبيرفييل (Jules Supervielle).

• طبعت له مجموعات شعرية صغيرة، بدءاً من السنة 1938 دار النشر الفرنسية G.L.M, والتي كان يديرها الشاعر الفرنسي (Guy Lévis-Mano)، هي على التوالي: قصائد (1938)، قصائد II (1948) قصائد III (1949)، أعادت طبعها كلّها في كتاب واحد دار نشر غاليمار بعنوان: «القصائد» (1952). وكانت قد ظهرت له: «رودغون سن» (Rodagune Sinne) (1977) ، و«القصائد صفر أو التلميذ سلطان» (Poésie zero ou l'écolier Sultan)(1950)، وظهر الكتابان معاً في مجلّد واحد عن دار غاليمار بعنوان «الكتابات الأولى» (1973).

• بعد الحرب العالمية الثانية اتجه جورج شحاده إلى كتابة المسرح ولاقى فيه تقديراً ونجاحاً كبيرين. وجميع أعماله المسرحية مترجمة إلى العربية، وقام بهذه الترجمة الشاعر أدونيس.

• أقام عِدّة شهور في باريس في سنة 1949 ، حيث تعرّف إلى زوجته بريجيت كوليريس Brigitte Collerais وصادقَ بيار جان جوف (Pierre Jean Jouve) وشاغال Chagall، وأوكتافيو باز، إضافةً إلى عدد من مجموعة الشعراء السّورياليين.

• بدءاً من هذه السنة (1949) شارك إلى جانب آداموف (Adamov)، وأوديبرتي (Audiberti) وايونيسكو (Ionesco) وبيكيت (Beckett) في التأسيس لـ «مسرح جديد».

• في 30 كانون الثاني 1951, قَدّم المخرج الفرنسي جورج فِيتالي (Georges Vitaly) في مسرح لاهوشيت (Huchette) مسرحيته الأولى التي كتبها سنة 1939, «السيد بوبل»، برؤية ومفهومات شعريّة ومسرحيّة جديدة، فاستقبلها النقّاد المسرحيون آنذاك بمقالات نقديّة عنيفة مُضادّة، وبين أبرزهم روبير كمب (Robert Kemp)، وجان–جاك غوتييه (Jean-Jacques Gautier) .

لكن سرعان ما تَولّى الدفاع عنة الشعراء الأكثر أهميّةً وحضوراً آنذاك: أندريه بروتون، بينجامن بيري (Benjamin Péret)، رينه شار (René Char)، إضافةً إلى الممثل المسرحيّ المشهور جيرار فيليب (Gérard Philipe).

وتُوّج هذا كلّه بالنجاح الكبير الذي لاقته مسرحيته «سهرة الأمثال» والتي أخرجها جان – لويس بارّوت (Jean-Louis Barrault) وأخرج بعدها مسرحيّاته التالية: «حكاية فاسكو»، «البنفسجات»، «السفر»، «مهاجر بريسبان» التي كانت سبباً مباشراً في إدخاله إلى «ريبرتوار الكوميدي فرانسيز» فصارت أعماله المسرحية جزءاًمن موسمها المسرحيّ السنويّ.

• كان الفائز الأول بجائزة الفرانكفونية، سنة 1986, التي قدّمتها الأكاديمية الفرنسية لمجموعة أعماله الشعرية والمسرحية.

• في سنة 1978, السنة التي ماتت فيها أمّه، غادر نهائياً بيروت، إلى باريس، حيث عاش إلى أن مات في 17 كانون الثاني1989.

• خص أدونيس هذا العدد برسومه احتفاءً بجورج شحاده.

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلاّل دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المَقَرّ
بيروت، لبنان
يصدر بالتعاون
مع وزارة الثقافة

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

المحرّر الأدبي
محمد مظلوم

سكرتاريا وطباعة
هناء عيد

المطبعة
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية
«القوتلي ومشاركوه - محامون»

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر

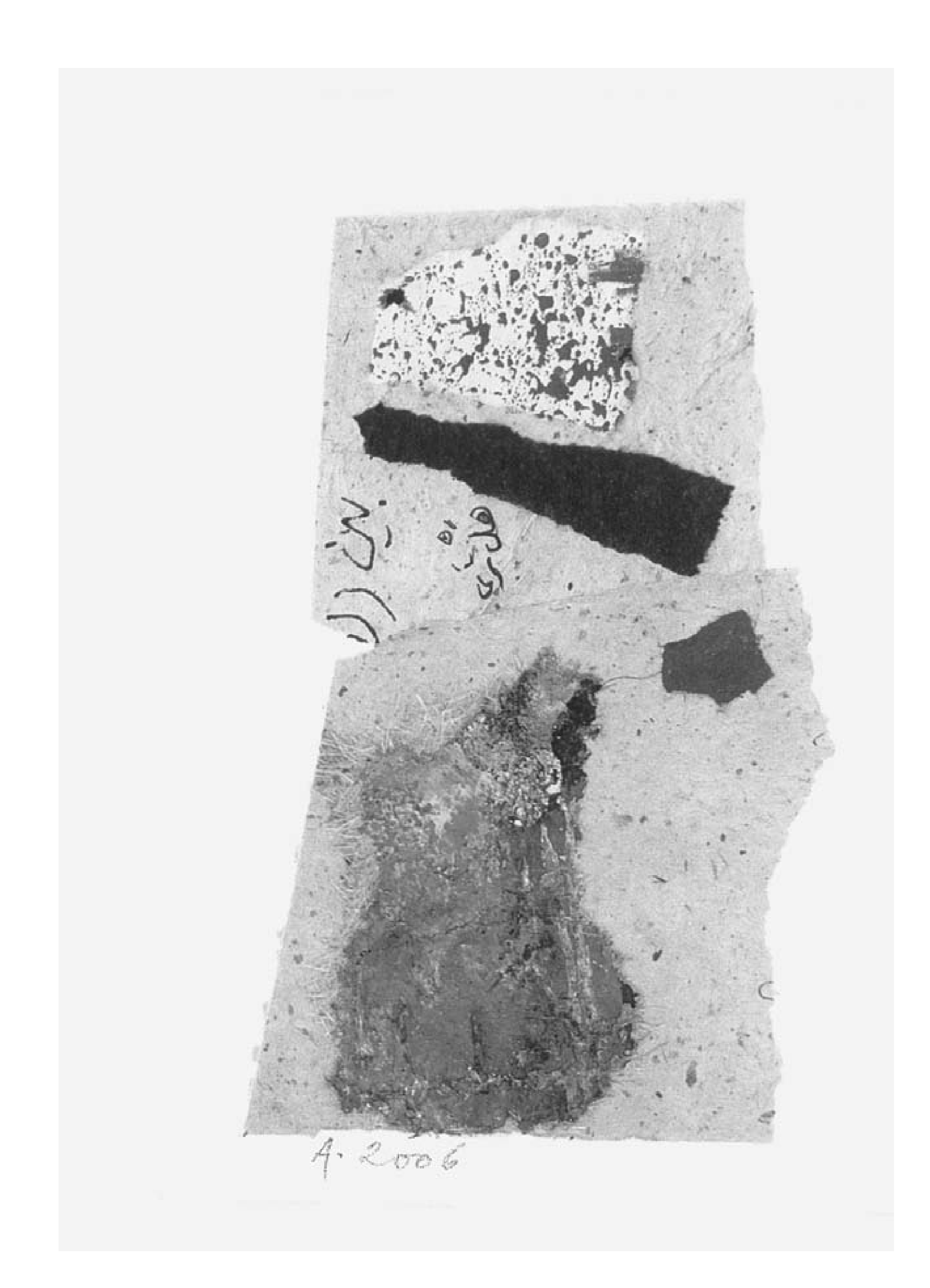
كتاب في جريدة
عدد رقم 100
(6 كانون الاول 2006)
ص.ب 1460-11 - بيروت، لبنان
تلفون / فاكس 835 868 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb
kitabfijarida@hotmail.com



الأعمال الشعرية

جورج شحاده

«سِرّ» جورج شحاده



– ١ –

قَدّمت دار غاليمار المجموعة الشعرية الكاملة لجورج شحادة، والتي نشرتها في السّنة 2001 ضمن السّلسلة الشهيرة: «شعر/غاليمار» بقولها:

«شعر جورج شحادة هو أوّلاً ببساطة لا تنفي السرّ. نشير إلى إشراق الرّموز التي يَستحضرها الشّاعر غالباً. سواءً تمثّلت هذه الرّموز في المصابيح أو في النّهار، فإنّ جميع قصائده تزخر بضوءٍ يُضْفي عُمْقاً على أبسط المشاهد والذكريات التي تتبلّور حولها في كلماتٍ قليلة، حول صورةٍ أو اثنتين. الحزن والحنين يَتحوّلان بدورهما في هذا الضّوء الذي يبدو كأنّه يوقف الزّمن».

وكان غايتان بيكون (Gaëtan Picon) صديقه الناقد الفرنسي المشهور الذي عاش فترةً في بيروت، قد كتب عنه، قائلاً:

«بلى أفتحها (المجموعة الشعرية) كأنني أفتح صندوقاً مُرَصَّعاً بعروق اللُّؤلؤ، جوانبه الداخلية من خشب الأَرْز أو من خشب الصَّنْدل، يَعبق منه عِطْرٌ سُرعانَ ما أميّزه، بين جميع العطور، على الرّغم من أنه ينتمي إلى شعرٍ جوهريّ، لا زمنيّ، كما لو أنّني أسير مغمض العينين في هذه الغابة نحو أرِيجٍ يُوفِّق بين الموكّب والمُرْهَف على نَحْوٍ لا أرى مثله في أيّ مكان».

- 1 -

الشَّعْرُ الذي هو عُمْرُ الحبّ
خمرٌ يسيلُ بين الأصابع
تَذكرْ تَذكّر أزهارَ الأرض
كان الخَجلُ يحمل رأسكَ في حقيبة
وتدلّ على خطواتك آلاف الأنقاض
هنالك أنتَ، عالياً على الرّابية
حيث يترك القمرُ أراغِنَهُ الباردة
وترتعشُ الأشجارُ كمثل حيواناتٍ بحريّةٍ مضيئة
غير أنّك لا تؤمن بهذه الصَّرخاتِ الطبيعيّة
لو كانت الجبالُ تقدر أن تغيّرَ الهواء
وأن تَنْضَمَّ عِبْرهُ إلى الفُصول
لكنتَ سِرْتَ على طريق السّماء.

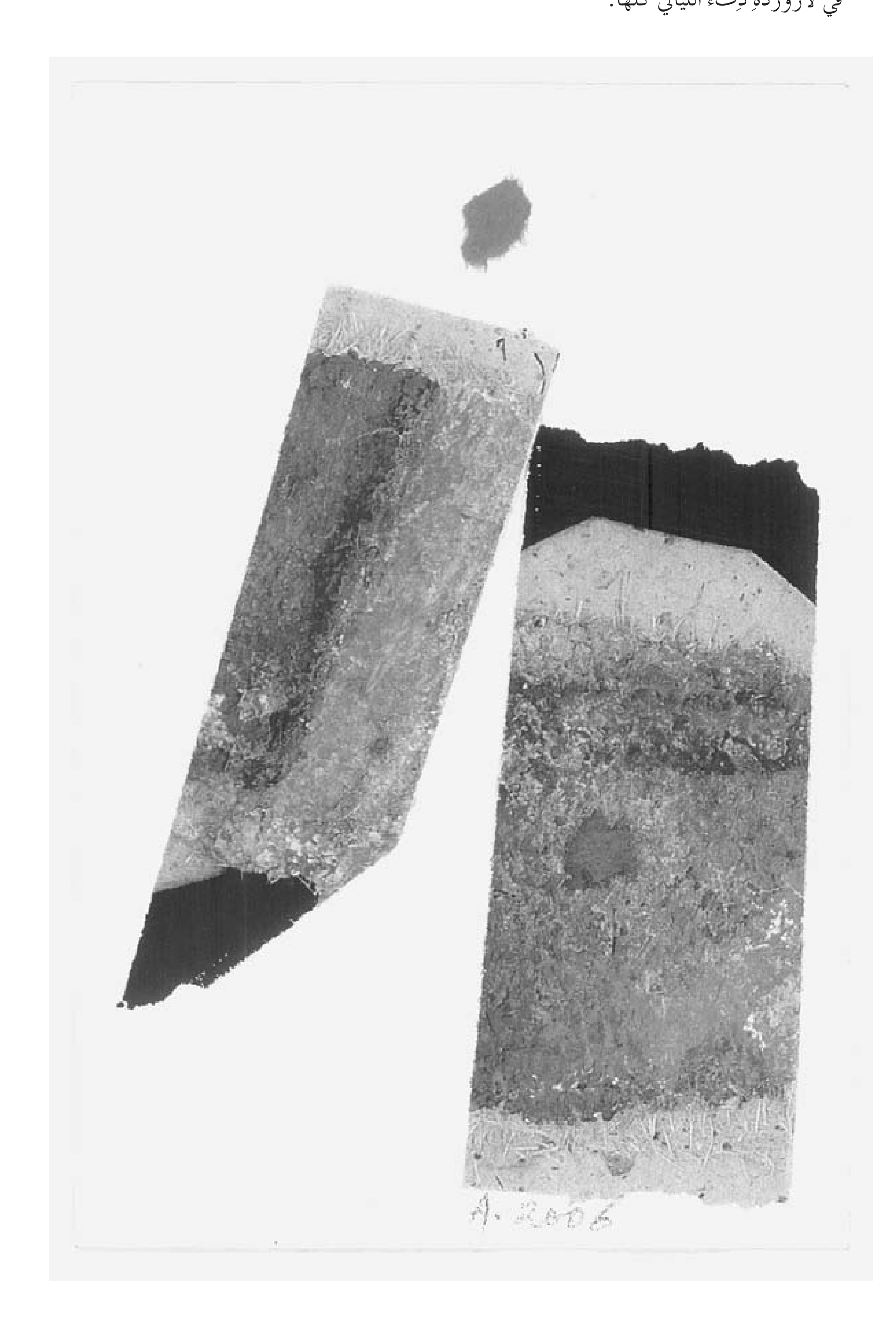
إذاً ستغمرني كلَّ صَيْفٍ
كآبةٌ جديدة
وأحبّكِ مثلَ ما أقول لكِ
مِن أجل حصانٍ أبيض كالشتاء
النَّسيمُ يخلع ثَوْبَ أَنْدائِه
والطّيورُ تموت من جراحِ البحر
تَوِّجي الحُبَّ الذي يُمْسِكُ بالقوس
سُنُونوَّةٌ تُحاذي المساء
لا قُوّة لها ولا لون
لن يمرَّ هذا الفَصلُ دونَ كوكبٍ جديد
في لازَوردهِ دِفءُ اللّيالي كلّها.

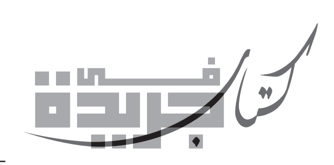
أحلم صارخاً في بَيْتِ الأَوراق
إِنّها أنا إِنّها أنا كانت تقول الأغنيةُ المُتعبة
آهِ فَلْنُطْلِقْها
وَلأَذْهَبْ حامِلاً
تمثالَ اللآلئ

الغابات ميتةٌ
والأوراق تتطايَرُ من الجرح.

في العشرين ترتجفُ
من رؤيةِ عينيكَ في ماء النّساء
لِلغرفةِ زينةُ البحر
مَزجَ اللّيل عمرينا
كمثل عصفورين طائرين يَسْقطانِ معاً
من صَمْتِ الأعشاش الخطِرِ
آه موسيقى صَخْرةِ الجزر.

النّعجات الأُول تَثْغو في المُستنقَع
نمنا تحت شجرة
كان القمر يَعلو كمثلِ حيوانِ العاصِفة
كانت أوراقُ الرّيح تَشتعل
حلمنا لكي نكون نفسينا بشكْلٍ أفضل
أنّ رجلاً ينامُ في كلّ مُنعطَف
جبهةً تثيرها الأعاجيب
كَتِفاً لا تظلّلها السّماء
قُرْبَهُ فأسٌ كمثلنا
وهذه الصَرَخاتُ في الرّيف.







– 2 –

أمّي التي كانت شاعرةً أكثرَ مني
كانت تكتب لأختها:
عَذْبٌ هو الصَّوتُ كالأرض.

على خَدّها وردةٌ على خَدّها كتاب.

– 3 –

عندَما يَرْتعِشُ الخريف على الجَبلِ
ضَعي في عنقكِ عينَ طائر التّمّ
الجمالُ كلّه في الرّيح والعين سوداء
أُحبّكِ قيلَ لي.

تغطّينيَ الملائكةُ بهذا المرَض
غيرَ أنّ الأجزاءَ الجميلة مِن الفَجْرِ هيَ فَمُكِ

كان هناك دائماً لِباسُ موتٍ من أجلكِ
كان الصَّدى يَقْرع الطَّبْلَ هابِطاً من السَّقْف

أَديري عينيكِ إلى جهة السُّور
لِتَعْكِسْ فُصول الرّبيع الغاباتِ الطويلةَ في شَعركِ

المطرُ أكثر عذوبةً من قُطْعانٍ حمراء
الماء فوق أكْتافِها أكثرُ بياضاً من البؤس
لا أعرف إن كان ذلك علامةً أم تعذيباً
هذا الصّوتُ في طفولتي كمثل تُفّاحةٍ
في القرى شقاءٌ كبير.

يا شَمسُ يا قَمر
يا شِعْرَ ولادتي
كانتِ الكواكبُ المذنَّبةُ تُعلن بشائرَ العناقيد
كانت خَالاتي يَتحدَّثْنَ فيما يغالبنَ الموت
وفي الأشجار كانت ترقدُ
مع حماماتها وحيّاتِها، امرأةُ الشّيخوخة.

– 1 –

فوقَ جَبَلٍ
تتحدّثُ فيه القطعان مع البَرْد
كما تحدّث الله
حيث الشمس في كَوْنِها الأوّل
ثَمّةَ أهراءُ مَليئةٌ بالعذوبة
من أجْل الإنسان السّائر في سلامه.
أَحلمُ بهذه البلاد حيث الحَسْرَة
شَيءٌ من الهواء
حيث يَسْقطُ النومُ في البِئر
أحلمُ وأنا هُنا
قُرْبَ جَدارٍ من البنفسج وهذه المرأةِ
التي تبدو رُكْبَتُها المُنْفَرجة تعَباً لا نهاية له.

– 2 –

هناك حدائقُ لم تعدْ لها بُلدانٌ
وحيداتٌ مع الماء
تعبرها حماماتٌ زُرْقٌ لا أعشاشَ لها.

غير أنَّ القمر بلّورٌ من السَّعادة
والطّفل يتذكّرُ الفَوضى العظيمةَ المضيئة.

– 3 –

هَؤلاء الذّين يرحلون لكي يَنْسوا بُيوتَهم
والجدارَ الأليفَ الظّليل،
أُنْذرُهمْ بالسَهل والمياه المُتَعفِّنة
وثَوْرَةِ الحَجرِ الكبيرة.

لن يعرفوا
– باستثناء الحديدِ وياسمين الأشكال
الليلَ السّعيد لِنَقْل العوالم
العُمرُ في الرّاحة كأنّه النَسْغ
لا نشيدَ من أجلهم
إلاّ النّدى البحريّ اللاّهب
إلاّ حزْن الينابيع الأبديّ.

– 4 –

لامارتين، أيّها البائِس
حملتُ مُدوَّناتِكَ في علبةً من الورَقِ المُقوّى
وما من أحدً أشْفقَ عليّ حَتّى الأرضُ نفسُها
هذه التي تحتضن دَمَ كلّ زَهْرة

أنتَ، يا وجهَ الشاعر على ضفّةِ الماء،
أَطْلقْتَ حياتي كلّها كمثل هذه المراكب.

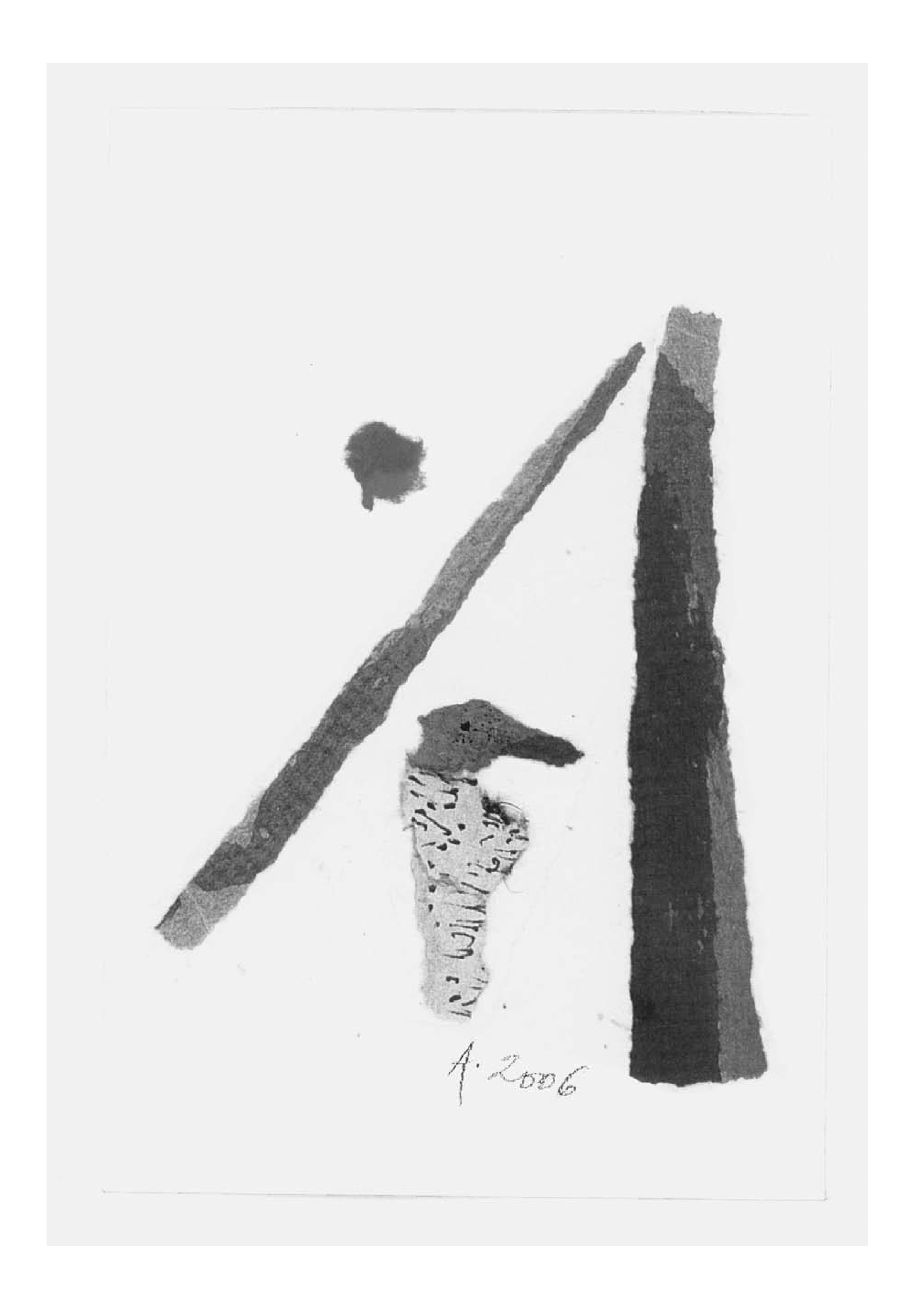
– 5 –

لن تكونَ الزّهرةَ الباطلةَ أيّها الخَشْخاش
كثيراً أَحبّتِ العيونَ المفتوحة
ها هيَ اليوم أكثرُ بَياضاً من مَوْتِها
واللّيلُ يُهيلُ الحجارةَ عليها
تبقى العينان زَهرتَينِ مِمّا وراءَ الطّبيعة.

– 6 –

بسرورٍ سَأنامُ أيّتها المرأة الشابّة
لا تَفْتني العصفورَ الذي ينظر إليّ
الألوانُ تُولَدُ في النّوم
الأزهارُ هذا الأسبوع لا تصلحُ لِلتَّنشّق
وجَهْدي صوب شفتيكِ يَضيع
أنا الآنَ في هَيْئة الحَجر الصّافية
كمثل جَوْهَرٍ خارجَ الفصول
الفَمُ مُهْمَلٌ كسياج الطّريقِ
واللّيل يَرْمي في الشّجر قناديلَنا.




A. 2006

– 4 –

كمثل هذه البحيرات التي تؤذي كثيراً
عندما يغطّيها الخريفُ وتَزْرَقّ
كماءٍ لا صوتَ له غيرُ ما يتكرّر دائماً،
لا راحةَ لكِ يا حياتي.
العصافير تَطيرُ تَنْتَظِمُ
لكلّ بلَدٍ نومٌ
وأنتَ أمامَ وجهكَ وداعٌ كثيرٌ
في أوراق هذا السّهل.

– 5 –

الأشجارُ التي لا تُسافر إلاّ بحَفيفها
عندما يكون جميلاً صمت آلاف العصافير،
هُنّ الرّفيقات القِرمزيّاتُ للحياة
آهِ يا غُبارَ البَشَر الطيّب.

تمرّ الفصولُ لكن تستطيع أنْ تَراهُنَّ
يَتْبعن الشّمسَ حتى آخر المسافات
ثُمّ – كمثل الملائكِ الذين يَلمسون الحجر
يُتْرَكْنَ إلى حقول المساء.

وأولئكَ الّذين يحلمون تحت أوراقهنّ
عندما ينضجُ الطّائرُ ويتركُ رُفوفَه
سيفهمون، بسبَبِ الغيوم الكبيرة،
مِراراً عديدةً الموتَ ومراراً عديدة البحر.

– 6 –

عندما يَتبعثَرُ اللّيل متألّقاً
عندما لا تقبل البنفسجَةُ اللّمس،
أقول زَهرةٌ من الجَبلِ لكي أقول
عُزْلة
أقول حرّية لكي أقولَ يأس
وأَمْضي حَطّابَ خُطواتي
أُضلّل الكذب
في غابةٍ من الشّجَر
مَلأى بالعدالة والشّعر.

– 7 –

كلّ ما نحبّه يا حبّي
يهربُ كالظلّ
كهذه الأرض البعيدة حيث يفقد الإنسان اسمه
لا شيءَ يَسْتَبْقينا
كمثل هذا المُنحدرِ من الشّربين حيث يَنامُ
أطفالٌ من الحديد زُرْقٌ مَوْتى.

– 8 –

أَنهارُ المعاركِ وَوُرودها
بَيْرقٌ ناعِمٌ يُهَدهِدهُ الحديد

كانت تَتلألأ سهولٌ لا بلادَ لها
ثمّ جاء الثّلج الكئيبُ والأَبْيض

كان النّمل يَلْتهم ثوبَ العجائب
وكم كانت السّنوات بطيئةً

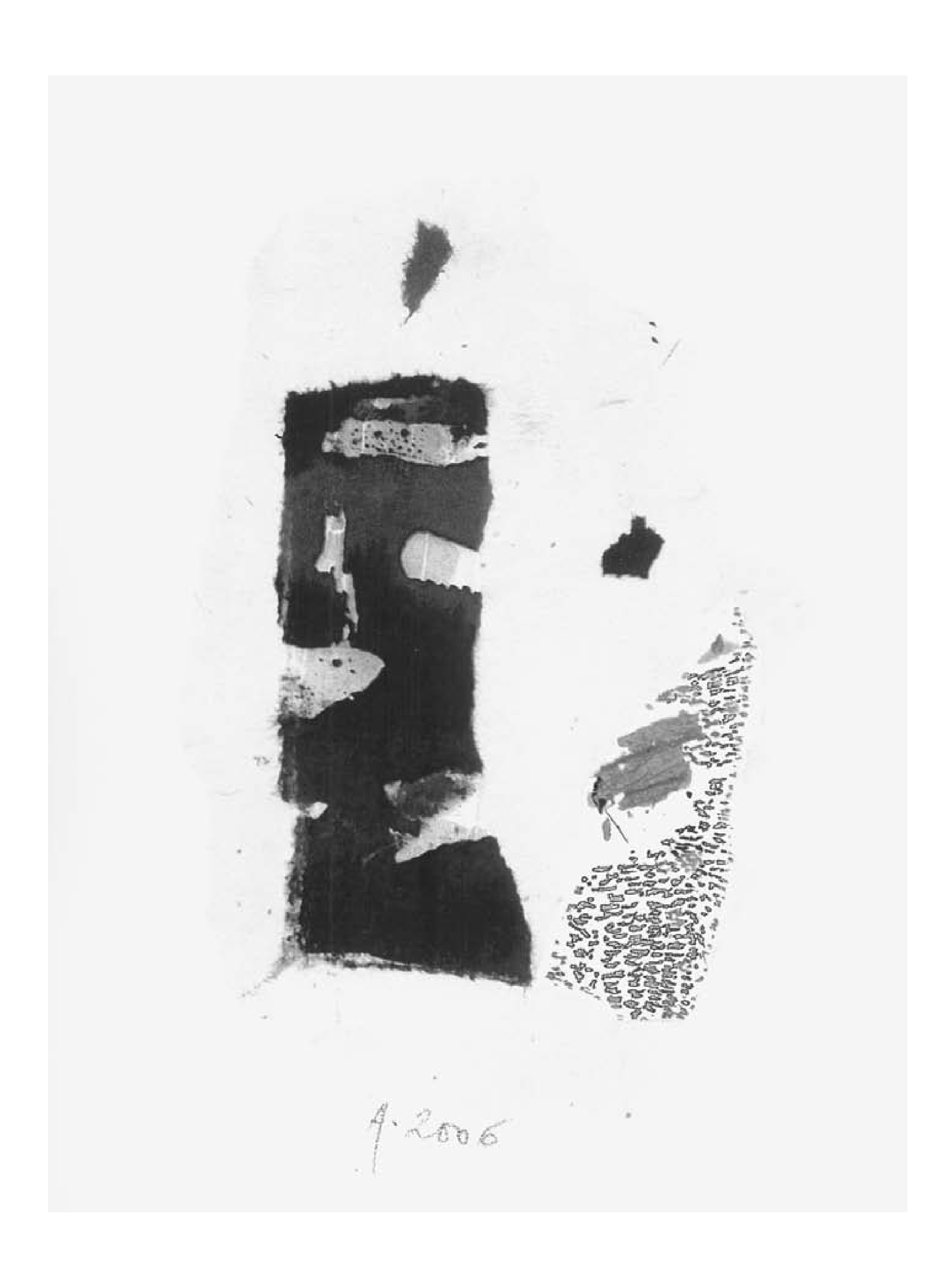
عندما كنتَ تَلبسُ وَزْرةَ التّلميذ
عندما كنتَ تنامُ كُلّ ليلةٍ على طفولتك.

– 9 –

كانَ كَمانٌ أعمى يبكي لأَجلنا
نبعٌ من الحَجر
في الشتاء الفصل الذي لا شكل له
عندما تكون العناقيد سَوْداء.

– 10 –

سأَفرحُ في بستان تُفّاحٍ
في هذا الماء الرّيفيّ
سائراً بخطواتٍ لا دَنسَ فيها.
ومن أجلك يا صديقةً لِصَفْصَافِ الموت
الحمامات التي تطير بلا هواء
الغيابُ الأكثرُ طولاً من السّنين.





– 11 –

لو أنّكِ جميلةٌ كَمجُوسِ بلادي
لن تبكي يا حبيبتيَ
الجنودَ المقتولين وظلَّهم الذي يهربُ من الموت
– الموتُ لنا زَهْرةٌ من الحِكمة*.

ينبغي أن نحلمَ بالطّيور التي تَترحَّلُ
بين النّهار واللّيل كمثل الأثَر
عندما تَتناءَى الشّمسُ بين الأشجار
وتَصنع من أوراقهنّ ريفاً آخر.

لنا، يا حبيبتي،
عيونُ السّجناءِ الزَّرقاء
غيرَ أَنّ الأحلامَ تعبد جَسديْنا
نَتمّدد كمثل سَماءينِ في الماء
والكلامُ غيابُنا الوحيد.

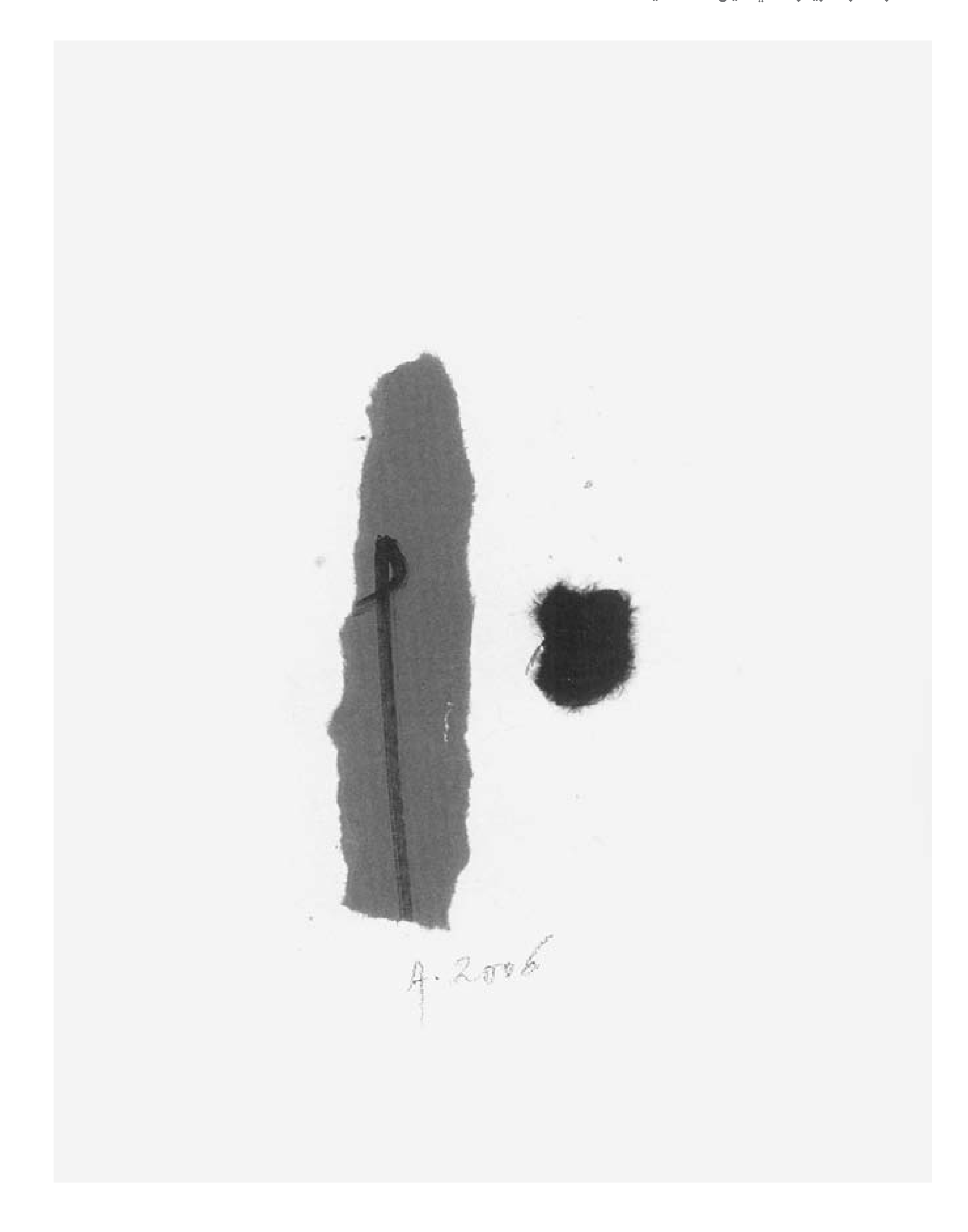
* Pensée (فكر، حكمة، بنفسج). التباسٌ اخترت فيه ما أراه أكثر شعريةً ودلالةً في سياق هذه القصيدة.

– 12 –

سنعودُ أجساماً من الرّمادِ أو أَشجاراً من الوَرْد
مع العين الحيوانِ الفاتنِ
يا حمامةً
قُربَ آبار البرُونز حيثُ
تنام شموسٌ بعيدة.

ثُمّ نَسْتأْنِفُ
طريقَنا المقوّسةَ وخطواتِنا
تحت ينابيع القَمر التي لا ماءَ فيها،
يا حمامة
هناك حيث العُزْلة الكبيرة تَمضَغُ الحجر.

النّهاراتُ واللّيالي تفقد ظِلالها آلافاً آلافاً
الزّمنُ بَريءٌ من الأشياء
يا حمامة
كلّ شيءٍ يمرُّ كما لو أَنّني طائرٌ جامد.



قصائد III (1949)

– 1 –

ستعود النّجمةُ إلى الحَديقة المخرَّبة
شبيهةً بِنُطفةِ ماء الولادات
العصافيرُ التي نَفَدَ صبرُها ستكشفُ عَمّا تُخبّئ

أنا يا حبيبتي في ريفٍ
مع أشجارٍ لها عُمْري نفسُه
غيرَ أنّ الغزلانَ تعبرُ في الأهداب النّائمة
الموتُ هذا المساءَ ابْنُ الزّمن الحبيب.

– 2 –

عندما يَتمزّق العصفورُ وغناءَه
تتوقّف أحياناً عن الأنينِ
الأوراقُ التي لا تَثِقُ بكآبتها
في البعيد انتهى الهواء و لم يعد يريدُ أن يُصغي
هكذا نعبرُ، الأحدَ، مع كلابنا
في السّماء وفي الحديقة
ونمنح، من أجل منفى صورنا،
ظِلاًّ لكلّ طفلٍ في المساء.

– 3 –

من الخريف الأصفر الذي يرتعشُ في الغابة المُسَرَّحة
تَبقى كآبةٌ غريبةٌ
كهذه السّلاسل التي ليست للجسم وليست لِلرُّوح.

لم تَهجرْ بعدُ الآبارُ نعمتَك، أيّها الفَصْل
نَتقدّم هذا المساء في أوراقكَ التي تَعبُرُ
قُرْبَ شلاّلٍ من الجنون الحزين.

وها هيَ النّجمةُ في غيمةٍ عظيمةِ الشّفافية
كمثل شَرارةٍ من الجوع.

– 4 –

ذلك الذي يفكّر ولا يتكلّم
يجرّهُ حصانٌ نحو التّوراة

لا تُخيفهُ العَصَا
ذلكَ أنّ الفكرَ لم يَهجرْهُ أبداً

مَنْ يحلمُ يَمْتزِجُ بالهواء.

– 5 –

الفتاةُ الصّغيرة ذاتُ السُّعال الجبليّ
التي تحتفظُ بالعشب على وَجْهِها
لم يَعْثرْ على أَثرِها توتُ الغابات
لم يعد يتذكّرها الصّدى وكلابهُ المعطَّرة
أظنُّ أنَّها خَبَتْ في ثِيابها
قبل أن تَنْضمَّ إلى الجِهَةِ الخفيّةِ من الشّجر
مانحةً نَصيبَها مِنَ اللّيل إلى غُراب الرّمل
ونصيبَها الآخرَ الأكثر نعومةً إلى المستنقعات المنعزلة.
هكذا يدومُ في الرّبيع ثَلجُ اللّوز.

– 6 –

هذه التي تعقدها بحنانٍ أشياءُ الرُّوح
هذا الغائِبُ بمعجزة
كلُّ حُلمٍ غبارُ أحلام
القطعانُ التي تعمّر ألفَ سنَةٍ بفعلِ القَمر
وهذه الجبالُ التي تَهْتَزُّ بالجَوْز.

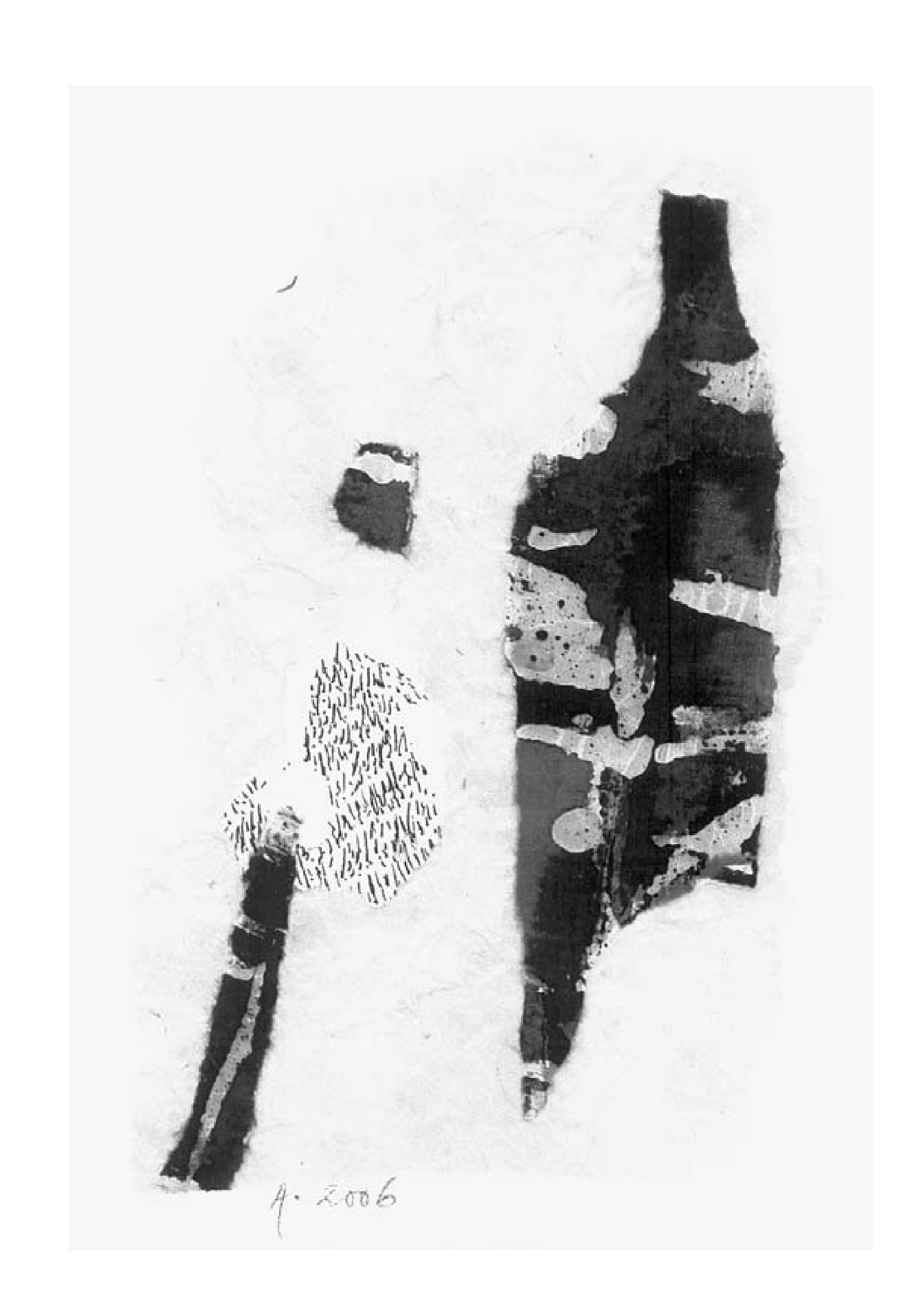
– 7 –

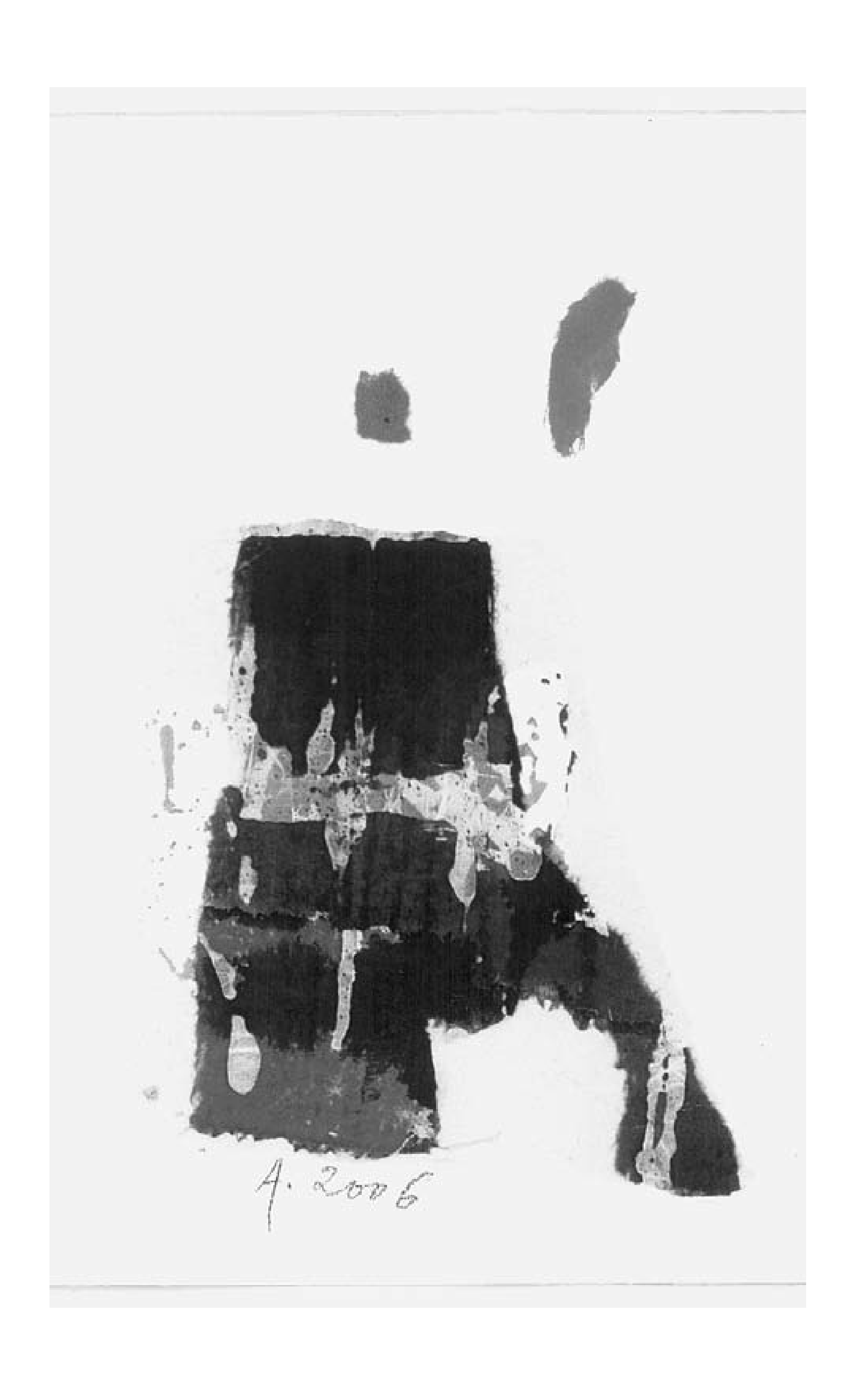
يوماً سَنَمضي نحن أطفالَ الأرض
مع مناديلنا القِرمزيّة
نَجعلُ العصفورَ يفرُّ من يَديْ الحجر
في بُلدانِ الظّلال – هذه النّقّالاتِ الحزينة

في وادٍ من الوَرْد ضيّقٍ غير أنّه وَعْرٌ
عبْرَ وَداعاتِ الشّمس
سنَرى اللّيلَ والنّهارَ يقاومان
سَنَرى القمرَ كمثل سَهْلٍ فوق البحر

هكذا نمضي لاكتشاف السّماء
– مع الظّلالِ هذه النّقالات الحزينة
بأثقالِنا الكثيرة في حياة الغيوم الباردة
كهؤلاء الذين يَنامُون في تُرابِ الأبَد.







قصائد IV (1951)

– 1 –

الوردةُ التي تُنَوِّمُ في وَرْزَةٍ
لا تزال تتنفَّسُ من أَجْلِ زمانِ روحها
– من يسكنُ الحلمَ لا يموتُ أبداً
كمثليَ والماء في قَرارةِ الماء
أَنحني على بُحيرةٍ
لم يعد لي صوتٌ
بل حديدُ صورةٍ يَهْتَرِئ.

– 2 –

أَشْتَنِي جبلاً هنديًّا بأرجوانه
وهذه الرّائحة البرونزيّة التي تجيء من الأحصنة أحياناً
فنحن لا نَأبه لِلأوراق الميّتة
هناك أحزانٌ ليست أحزانَنا
فقلبي هو طِفلي

سنمضي إلى بيتٍ في الرّيف
لكي نلامسَ ما أحببناه
كما في صفحاتِ كتابٍ للقمر
وسوف يكونُ بِكْرَنا مَلاكٌ حائط.

– 3 –

عندما كان كلّ شيء ينام في البيت الأليف
والخزائنُ في شيخوختِها العِنَبيّة
كان يجرّ ورقةً من الظلّ على أرض الأبواب
كانت أُمّي السّعيدة بانحنائِها
جَميلةً كآلاف الصّباحات.

– 4 –

ثَمّة كنائِسُ قِدّيسوها في الخارج
حُبًّا بالوحدة
– لا تَقُلْ هذا يا حبيبتي
فهم بعيدون، طاعةً
ولهم عين السَّفَر الزّرقاء
كهؤلاء الرُّعاةِ الذين ينامون باسمين.

القمر حزينٌ مع عائلته
في سماءٍ مُمِلّةٍ كغرفة.

– 5 –

للعشبِ والزّمن العذابُ نفسُه
في هذا الرّيفِ حيث تَنْطفئ الشّمس
كمثل حصانٍ يَعرج
كَمنجةٌ تطردُ الظّلالَ بيدها
تذكّر مستنقعات البحر البعيد
عندما ستنام في أرض الأطفال.

– 6 –

الغرابُ الذي يُشَوّشُ التلميذ
فيما يشربُ ماءَ الأشجارِ الباردَ في وطن أمي
ليست له ريشةُ الهمّ السّوداء.

إنه رفيقُ الآبار في الضّوء
والجَدْي الهادئ
وليسَ مَنْ يُشارُ إليه كأنّه الموت

جناحاهُ نِصْفُ مفتوحيْن
تماماً لفترةٍ تكفي لِتَسْويدِ نَقّالة.

(15)

ثقوب آبار البرونز حيث

تنام مشموسةً بعيدة.

بياض

ثم نستأنف بمدينتنا المقوّسة وخطواتنا

تحت ينابيع القمر التي لا ماءَ فيها،

يا حمامة

هناك حيث العزلة الكبيرة تمضغ الحجر.

بياض

النوارس والليالي تفقد ظلالها آلافاً آلافا

الزمن بريءٌ من الأشياء

يا حمامة

كل شيءٍ يمرّ كما لو أنني كائنٌ جامد.


A. 2006

I

كانت قَاماتُ الفتياتِ تتموّجُ في الرّيح
لم يكن العصفورُ ذو العين اللّؤلؤيّة يتركُ أثراً
أوه أتذكّر – كان ذلك عَصْرَ الملائكة
كان في الأرضِ السّعيدة نهارٌ وليلٌ للأطفال
الغيابُ يحرسُ الابتسامةَ والكلمة
وكلّ شيءٍ يشعُّ من لا شيء: العشب والقنديل
إلاّ حصانٌ جامحٌ كان يحرسُ
ويَصْرخ في اتّجاهي:
النّادرُ لا حكمَ له إلاّ في الموت
أوه أتذكّر.

II

في اللّيل، أحياناً، يَزُورني القدّيسون
يدخلون عبْرَ زَجاج النوافذ كمثل النباتات في الخارج
أعرفهم من رؤوسهم التي تُشبه الدُّمى
ذلك أنهم يُحبّون أن يلعبوا بقلبي
يقومون بخطوةٍ في البيت
بخطوةٍ ثانية نحو مسرحٍ أرجوانيّ
ثم يعودون كمثل ما كانوا
أعني جَمالاً غيرَ مَرْئيّ.
– الشّاهد الوحيد على المعجزة
دميةٌ منسيّةٌ سَهْواً
عيناها مُغْلَقتانِ أمام الأحلام
كأنّها لا أحد.

III

في الفضاء الفارغ المليء كالخاتَم
تنفتحُ شِبَاكُ اللّيل على الموت أو على الأحلام
هنالك في السَّهْل، هذه اللّيلة
بلادُ ما بين النّهرين وَشَبابيكُها
تتدفّأُ الوردةُ بالقنديل كأنّها أخته

أوه انظرْ
مركبٌ شراعيٌّ برأس أَسَدٍ يلقي مرساته
ودائماً على الشاطئ
تجاعيد البحر الكبيرةُ البَيْضاءْ.

IV

إنّهم مُسَافِرو المستقبل
أولئك الذين يتأخّرون كثيراً في السَّهر ليلاً
في غُفران الظّلمات العميق
بعيداً عن المصابيحِ الحارّة على العيون
في الهواء العاري
تعرف ذلك النّجوم التي تتوقّف عند نوافذهم.
تاركةً سَلالِمَ تَتلألأُ
في الفَجْر عندما يفتح الصيّادون ثقوباً
في صَمْتِ الأَرياف.

V

كانت أمّي تُشعل القناديل لكي تُبعدَ عنّا الأشباح
وتعدّ أعمارنا على أصابعها عندما
ترنّ ساعة الحائط
كانت تتحدّث عن الزّمن الذي يمرّ باسِماً
والرّجالُ الذين يسيرون وراءها
كانوا ملائكتَها

الآن وقد ماتَ القمر أين أنتِ
أيّتها الأفكارُ الفَاتنة
أيّها الحبُّ ذو الأسنان المُلبّسة
أيّتها الطفولة التي تنتحبُ على وَجْنتيّ.

VI

كانت تنهض ليلاً لكي تتأمّل المسيح
تَلمسُ اسْمِرَارَ جرحه لكي يَشْفى
فيما يرتجف جسمها كمثل ياسمينة

أحبّ في الظّلمة عمقَ ظِلّك
تبكي بعذوبةٍ تكاد أن تُميتَ من يلمسك
لا أحدٌ له عَذارَى شفتيك
إلاّ صوتُك.

VII

إن رجعتَ يوماً إلى الأرْض الأمّ
بخطواتٍ بطيئةٍ كمثل حصانٍ يزيده اللّيل تعباً
أوه اذهبْ إلى تلك الحديقة
لكي تَحظى بالوردة التي لا تعرف بسهولة
الأقحوانة التي لها لِبْدَةُ الأسد

– عناكبُ ضخمة تطيرُ مع فراشاتٍ
كما يحدثُ في حُمّى الطّفولة
اضحكْ أو ابْكِ لكن لا تَخَفْ
الظلّ هو من يتحرّك
قبل أن يُصبحَ ليلاً مضيئاً.

IX

في الخريف الأحمر الأصفر كمنخلٍ عبْر الشّجر
ودخانِ نسيم عليل
غرابٌ يتعكّز ويتكهّنُ بالشّفاء

أصرخُ، حالماً بالفتاة التي تعبر في الغابات
شبيهةً بحكاية
أيّها الحبّ امنحها عمراً طويلاً

غير أنّ الصّدى الذي يَجيء من بعيدٍ
منحنياً
فاقداً الكلمات،
يُرَجّع: حبٌّ حبٌّ بلا حياة
لعبةُ وَرق.

X

كآبَةُ حصانٍ كبيرة تتنزّه بين الغيوم
وأنتَ في هذه الغرفة
تحلم دونَ كلامٍ
بالطّفولةِ الأكثرِ حناناً
طفولةِ الرّحيل في ملكوت الجدران.

XI

عندما يتمازَجُ حزنُ البحر وفرَحهُ
منفرديْنِ على الشّاطئِ في الغَسق
تقول: لو فاجأتنيَ الكآبة
فسوف أتمدّد على الرّمل النّاعم
لكي أكونَ عاريةً ولكي أموت
وأنا كنتُ أفكّر أنّ الموت
هو قبل كلّ شيء العينانِ المغلقتان
واللّيلُ الأبيض بين الزّهرِ
والصّلاة

ثم أَربعْ شموعٍ عسَليّة تَنْفثُ نارَها الذّهبية.

XII

ثَمّةَ حديقةٌ من الحُزْن في قَفص الطائر
وكآبَةُ بيتٍ بكاملِها
الأجنحة أوراقٌ خُضْرٌ
في النّهار الزّاهد
الذي يَنْفَرِطُ كالفُتَات

أتذكّر نفسيَ تلميذاً فقيراً
عند النّافذة.

XIII

عندما يكون القمر نحيلاً
فوق سرير غرفتك
عانِقْ على الخارطة
البُعدَ اللاّنهائيَّ كما تعانق فتاةً

في الأرض الأمازونيّة
اكتبْ
على ورقةٍ نديّة:
أوروبّا وَرْدة

في مدُنِ الحجر
حيث تتعذّب الأجسام وتغنّي
لا شيءَ أكثر طُهْراً
من الجغرافيا.



XIV

أنتم الذين ترحلون إلى بلادٍ بعيدةٍ
ألا فَلْيقدّمكمُ إلى الضّوءِ أساقفةُ الحلم
في ثيابهم المذهّبة
ألا فَلْيقولوا إنكم نقطةُ الماء
التي ترتجفُ على أصابعهم بِغناها كلّه
وإنكم العَنْبرُ والذُّرَةُ في عقودهم
وَلْيُسمّوكم نَعْشَ الكمَنْجةِ أو الغَزالة
وَطْواطاً بائِساً يَعْرُجُ حائماً في الهواء
مِن أَجْلِ أن تَتفادُوا آلامَ البَرْد
المَسافةَ وجراحَها
ولكي يكون الماء عَذْباً من أجلكم
حتّى في البحر.

XV

لا الرَّجاءُ لا الثّروة
بل الزّهرة الصّغيرة اليابسةُ في كتاب
والتي لم يبق منها إلاّ رمادُ الحبّ

– كيف نموت
ونحن لا نزال قادرينَ أن نحلم.



XVI

الأيقونةُ ذاتُ العينين السَّوداوين المطرقتيْن
كثمرتي كستناء
طفلةٌ ذهبيّةٌ بالرّغبة في صورتها
أميرةٌ أو غزالةٌ
بِالشّفَافية، والسّماء الخفيفة.

– أقول لها فيما أطوّقها بذراعيّ
اللّتين تطويهما المرارة والمقاومة:
يا امرأةَ السّماء
أنتِ التي تهبينَ الخبزَ والفكرَ
لمن ينظرُ إليكِ طويلاً
لماذا بلا دموعٍ لماذا تبكين
في هذه الغرفة العتيقةِ الجُدران
والتي لا نافذة فيها ولا سُونو.

XVII

ليس صَوتُ الصّدَفة صوتَ البحر
ولا سفرَ الرّيح
إنه نشيدٌ وقبرٌ لِلنّوم
كمثل ما هي الأشواكُ دموعٌ للوردة في الصَّباح
كمثل ما هو الزّنبق ذِكْرى للملوك
آهِ ما أكثر الكآبةَ في الأشياء.



قصائد VI
سابح الحبّ المُفرَد (1859)

I

كانت تسير في حديقةٍ
تَتساقطُ من أشجارها حروفٌ ناعمة
وكان الهواءُ قد فقدَ لونه.

إنها ولادةُ المساء
نَداوَةُ الأعشاش، الأُولى
كانت الفتاة قد بدأت تحلمُ
فيما تَتلفَّتُ حولها

الآنَ يتكرّر اللّيل إلى ما لا نهاية
الأشجار تختبئ داخلَ أوراقها
ومن بعيدٍ يُقبلُ الصّمت.

II
تحيّة إلى فرا أنجيليكو (Fra Angelico)

كانت أمّي تُسمّي الملائكةَ بأسمائها الأولى:
جبرائيل بأصابعهِ التي تشبه الكَمانَ
وأجنحته التي هي كالأصداف
وماري، ماري في البيت وحدها
تَتْسَدِلُ على وَجهها عيناها
هذا كلّه في غرفةٍ فارغة
إلاّ، ربّما،
من الخبز والماء حَمْداً وشكراً.

III
إلى جان. كلود موران (Jean-Claude Morin)

تحت الشّمس البنفسجيّة لزمنٍ انْتَهى
في رحيل الأوراق الميّتة
كانَ بستانٌ بلا زهورٍ
لا يدخل أحدٌ إليه
لا الأَرواحُ ولا الصّدى
وحدهم بضعةُ صيّادين أرهقهم العمر
كانوا هناك يعبرون.

IV

كمثل طفلٍ في ما مضى يضيعُ صراخُه
في بستان تُفّاحٍ أبيض
عندما يغمزُ القمر بحبّهِ كلَّ شيء

أرَى من جديدٍ في مِرآةٍ خاليةٍ
ذكرياتيَ وعكاكيزَها البيضَ
لا أعرف مَن الأَجدرُ بالشفقة
هي أو أنا
فما أَوْحَشَ مرارةَ السّنين
أيُّها القمر يا مرآةَ الغياب.

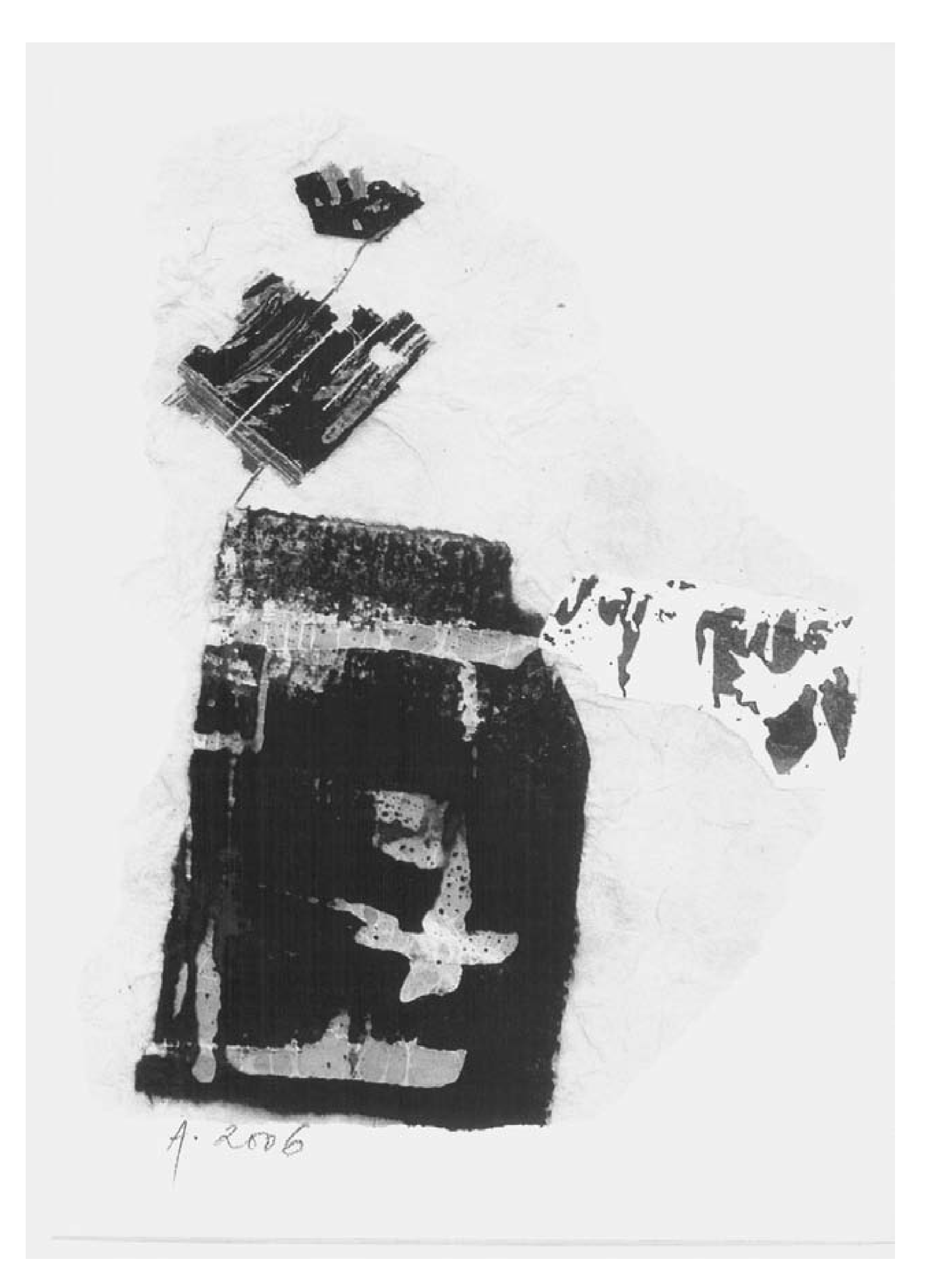
V

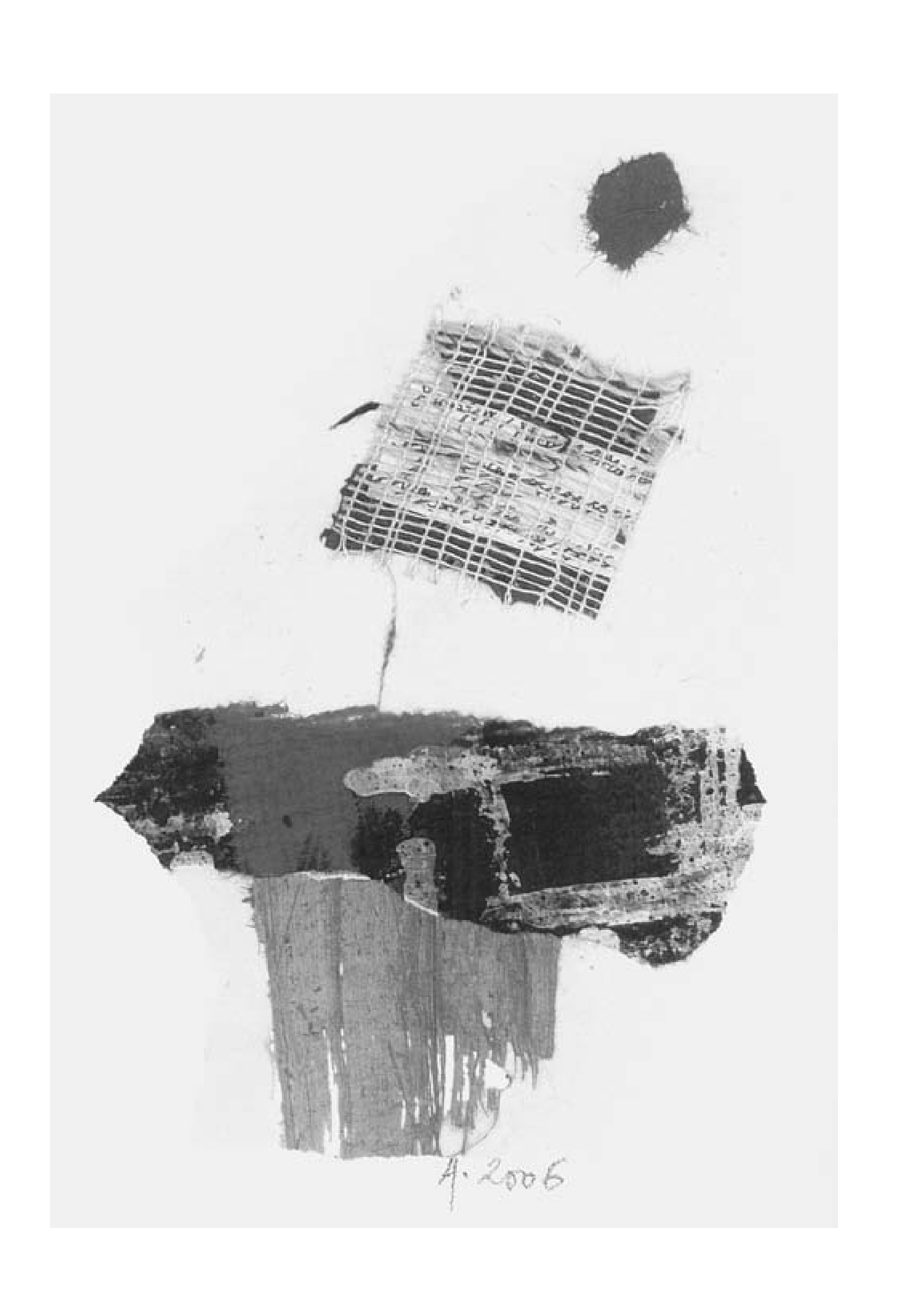
كانَ نَبعٌ يتحدّث ويبكي
عندما ستغادرُ ذاتَ ليلةٍ
بلادَ القناديلِ كطفلٍ مَقْرورٍ
ربّما سيقدّم لك الخِبْرَ
مَلاكٌ
لكي تكتبَ ما تَرى:
الماء الحيّ الذي يَصيرُ ظِلاًّ
والشّجرةَ التي تُضيّع طريقَها.

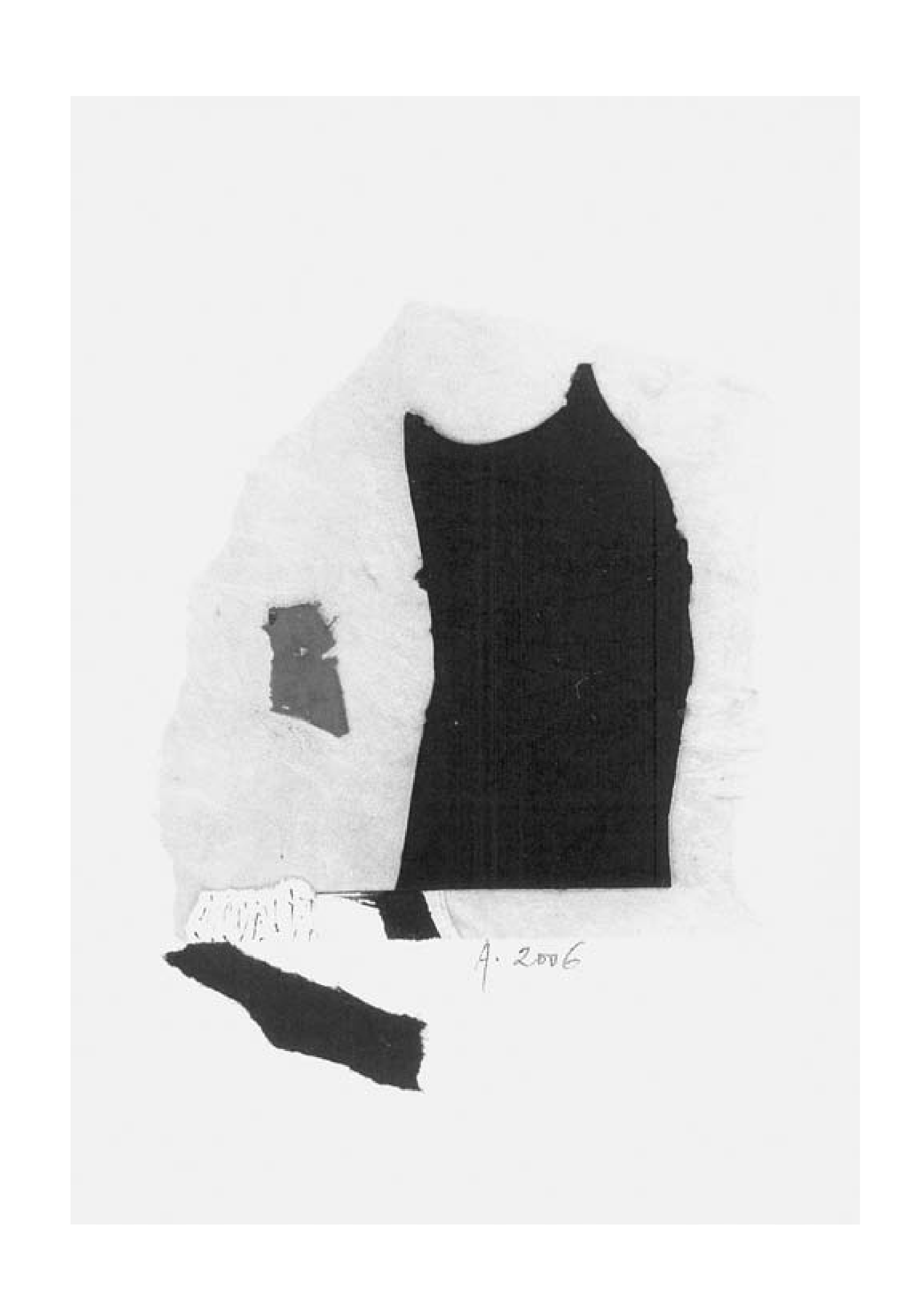
VI

كان لجسمها عذوبةُ الماء في الأَيْدي
وكان يُشير إلى نُحولِها عقْدٌ أزرق
لها تكتب الوردةُ قصيدتها
وهي في الصّباح قُبْلةُ الأنظار كلّها

الجبال البعيدةُ حيثُ أُناسُ الماضي
والمطرُ الذي يُنادي
– ليست هذه المرأة حلماً
لا شكّ أنّها ماتت الآن
لأجلها ترافقُ الصُّورة الرّيح.







VII

في كنيسةِ القريةِ عندما يهبط اللّيل
تخرجُ الصّلواتُ من مخابئِها
وَيُهاجرُ مَلاكٌ طِفل

يُضْفي البخورُ غطاءه الظّليلَ
على مَجُوسٍ نائمين
تبدو الزّنابق باهتةً عند أقدامهم

وفي البعيدِ في سماءٍ من الشموع
تُسافِر الأيقونات.

VIII

قبلَ النّوم
كانت أخواتُ أمّي يتكلّمن بصوتٍ منخفض
فَيدخلُ في العتمة كلّ شيء
الوجوهُ الأصوات
وساعة الحائط في قَفصها
وقد توقّفت عن الغناء
آنئذٍ كان يرقُ عودُ ثقابٍ
وكنّا نقدر أن نَسْتَشِفَّ
عَمّاتي الجاثياتِ
في دَارَةٍ من الذّهب.

IX

كانت لكلّ نافذةٍ سماءٌ ريفيّةٌ
في هذا البيت المنْسيّ
وكانت طيورٌ تنقلُ الأخبارَ
وفي الأحلام طِفْلٌ يقصُّ حياته

حبٌّ
في ليالي الشتاء
المصباحُ وديعٌ في ثوبه الزّجاجيّ
وساعة الحائط ترنُّ وتنادي
طفلاً اسْتأثرَ به النّوم.

X

ليست هذه القصيدةُ كلماتٍ للاشيء
ليست هذه الكآبة نشيداً للا أحَد

هُوذا الخريفُ ونجومه الباردة
لا تزال هنالك ريحٌ للهروب

عن الوقت يسأل طائر أفريقيا
غير أنّ البحرَ بعيدٌ كالسَّفَر
والبلدانُ تضيعُ في البلدان

– أصْغِ بين الأغْصان
إلى صَوْتٍ ذهبيّ لِشجرةٍ تموت.

XI

لم تكن تأتي إلى هذا الشاطئ المهجور
إلاّ لكي تَمضي
كمثل أمواج البحر

اليوم يضيف الزّمن الذي يمرّ
الذّكرى والظلّ إلى جمالها

– ماذا كانت تهمُس
عندما كانت تمزج الكلماتِ بيديها

كم كنتُ بائِساً
أتنقّل بين خواطري
لكي أُلاقيَ غياباً
فيما كانت أشجارٌ كبيرةٌ في الأفق
تتحدّث هَمْساً مع الفصول
فيما يحملها الضّباب.







XII
(نُصْبٌ تذكاري من أجل ناديا تـ...)

فَارَقَتْ أيديَ أَصْدقائِها
من أجل حديقةٍ زرقاءَ مُسَيّجة
يطير فيها العصفور مع عُشّه

عينانِ سَوداوان شَعْرٌ أسود
والآن على كتفيها يَنْسدِلُ الظلّ
بكلِّ ما فيه من الجمال.

XIII

كانت أكثرَ شيخوخةً من الزَّمن
بيديها الشّفّافتين
وبحزنِ الرَّبيع في عينيها.

رقدت تحت الرَّمل
كان في الشجر قليلٌ مِن الرّيح
وهذا القليلُ انتهى

تبقى ذكرى صوتها
منذ أن دخَلتْ هذه البلادَ البعيدة
التي تتشابَهُ فيها جميعُ النّساء.

XIV

إنه الخريفُ من جديدٍ
وراء أوراقها تركض الحديقة
لم يعد أحدٌ هناك:
لا النّوافذ و لا البشر
إلاّ الرّيح

قمرٌ منسيٌّ هنالك
مِثْلَ صورةٍ في السّماء

لِنشربْ على ذِكْر صَيْفٍ جميلٍ
يقولُ يَنبوع.

XV

عندما تضيع العيون في النّوم
كما تضيع الوجوه في البئر
يهبط على نائم اللّيل
حلمٌ ترافقه أَرْيافُه
في سماءٍ سوداء فَرّت من نُجومِها

نافذةٌ في الفَجْر
ينحني عليها رأس امرأةٍ
تَظلُّ في الحلم لُغْزاً.

– 1 –
صورة قلميّة لجول*

الشَّابُّ الذي يسيرُ في شارعٍ في مونتيفيديو
لابساً الأسودَ كمثل قاضٍ ريفيّ
وفي إصبعه ماسَةٌ،
هو جول بن جان
(يشتهي أن يشربَ فنجان شايٍ في قاربٍ في حين أنّ البحرَ بعيد!)

يعرف أشياءَ كثيرةً عندما يمشي:
كيف يردّ على طائر العَقْعَق
يُحيّي تلميذةً في نافذتها المزيّنة بالخزف
في السادسة عشر من العمر كمثل بُندقَةٍ في اللّيل
(أشجارٌ كبيرةٌ تفرش أغصانها في أصيلٍ جميلٍ في الأوروغواي)

كيف حالُكَ الآن يا جول
منذ أن أضعتَ سنواتِ ظِلّكَ العشرين
وذَبُلت ميموزا صُدْرتِكَ المُزْهرة؟
(في الخارج ريحٌ هنديّةٌ صغيرة تبكي)

كيف يتخيّل وجهكَ
أولئك الذين لم يروكَ أبداً
(جالساً على أدراج كتبك أو حافيَ القدمين في ينابيعك)
في ضوء شمعةٍ تشعّ مائلةً؟

تُرى أقولُ لهم إنك تشبه ساعيَ بريدٍ في الجبال
أو سنديانةً عَرّاها اللّيل؟
فيلاً وفراشةً معاً في غلافٍ واحد
(بأنفك الكبير كأنّه حقيبةُ سفَر)
وساقيك اللّتين لا نهايةَ لهما
لأنّك طويلٌ يا جول كعمركَ مرّتين

ليتهم يقدرون أن يسمعوا صوتكَ الذي
يهدرُ كالماء
وأَن يروا على كتفيكَ شالَ النّدَم
في هذا البيت بِشارعيهِ الإثنيْنِ،
حيث تحمل التاج

لا أحَدٌ أفضلُ منكَ هَزَّ شجرةَ الشّعر
أيّها الشّاعِرُ الأَلُوف...

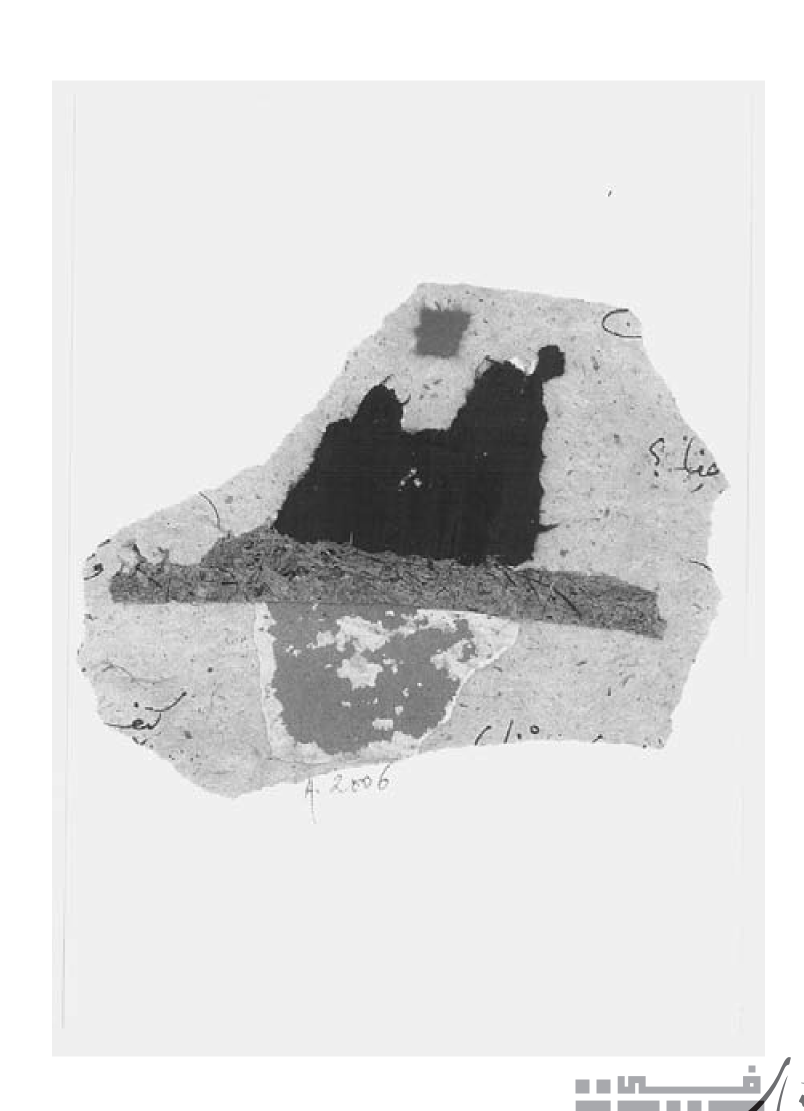
ذلك الحصانُ الجالسُ على عرشهِ في شارع الفَرّانين
لِيَفْتَحْ شُبّاكه في الغَسَق
لِيَتذكّرْ وهو يأخذُ نَفَساً من مِنْخريه:
مَن كانَ الأفضلَ في الاحتفاء بصدره، وَبراً وزخارفَ
مَن سَرّحه في الزّمَنِ مربوطاً بخيطٍ
يجمع سَنابِلَه الأربعَ في أرضِ السّاحة الرَّملية؟

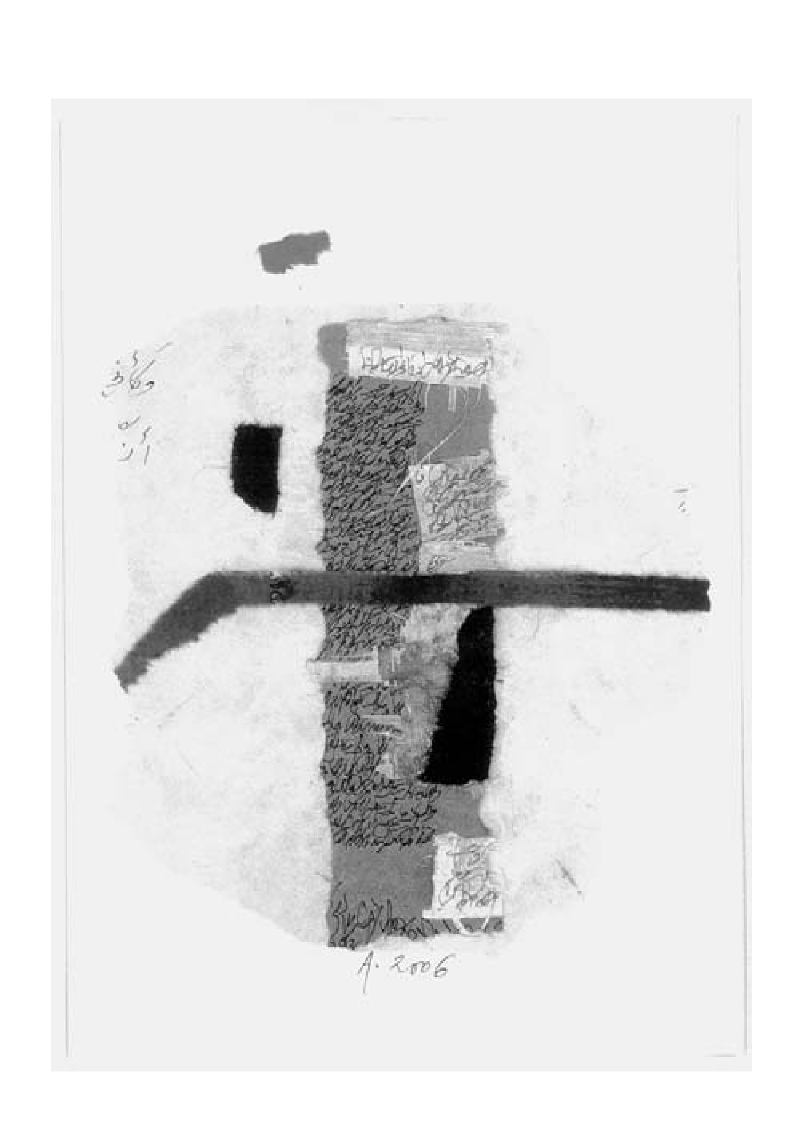
والأسَد؟
مَن قَصّ لحيته المستديرة بِمقصّاتٍ دائريّة
مَن جعله يُلقي رِجْلَهُ الأسديّة على الوردة الرّبيعية
مَن علّمه كيف يقدّم التحيّة في بيوتِنا
كما تفعل آنسةٌ صغيرة،
وأن يكون في القصائد حارساً لَيْليًّا؟

مِن أجل فَرَحِ العيون تَطيرُ العَصافير بأجنحةٍ كونيّة
مَن سَجنها في مِجْرفةٍ
وَبَادلَ بالكَهْرمانِ قِطًّا يَزِنُ ثلاثةَ كيلوات
ووضعَ على الرفّ مُرَبّى الورد
في الخريف عندما تَنوحُ الرّياحُ والبشر؟
لا سعادةَ يا جول إن لم تكن كآبة

الآنَ يحلّ اللّيل في شارع مَاسّينه (Massenet)
والغِيلانُ في كلّ مكان
ساعتكَ المونتيڤيديّة موضوعةٌ على الطّاولة
والنَّومُ أخذكَ من كتفيك:
مازجاً تُفّاحَ فرنسا بقصَب سُكّرِ الجنّيات
راقداً كمثل كتابٍ كبير من الصور.
(1954)

* الشاعر جول سوبيرفييل (Jules Superveille) والقصيدة تحيّة له، كتبت سنة 1954





قصائد

-1-

صورة قلمية لجول*

الشابُّ الذي يسيرُ في شارعٍ في مونتيفيديو
لابسٌ الأسودَ كمثلِ قاضٍ ريفيّ
وفي إصبعِهِ خاتمة،

هو جول بن جان
(يشتهي أن يشربَ فنجانَ شاي في قاربٍ،
في حين أنّ البحرَ بعيد!)

يعرفُ أشياءَ كثيرةً عندما يمشي:
كيف يردّ على خواطر العقعق
يُحيّي تلميذةً في نافذتِها ~~[illegible]~~ المزيّنة بالخزف
في السادسة عشرة من العمر كمثلِ بندقةٍ في الليل

* الشاعر جول سوبرفييل (Jules Supervielle)
والقصيدة تحيّة له كُتبت سنة 1954.

حِكايةُ عام الصّفر
إلى إيف دو بوازيه (A Yves de Boyzer)

المجوس

على ضفّة حوضٍ
في لَيْلٍ نيّر
تلاقى، لكي يسقوا مطاياهم،
ثلاثة مجوسٍ وثلاثة أحصنة
لكن عندما انحنوا
تضاعفوا
صاروا ستّةً في الماء
ستّة مجوسٍ وستّة أحصنة
تلك هي الأعجوبة الأولى!
هكذا عندما امتطوها
اعترف المجوسُ (والأحصنة)
أنّ صُوَرهم خدعتهم
في لَيْلٍ نيّر
ضحكوا (متوافقين)
تذكّراً للماء.

كانت **النجمة** غابت فيما ينتظرون
وعندما رفعوا رؤوسهم
كانت السّماء متلألئةً وغائبة.

كانت **النجمة** معلّقةً بشجرة تينٍ
وراء ورقةٍ
(أمسكت بها تتثاءَبُ ثَمرةُ تين)
كانت الشّجرة تلك اللّيلة
قد أرْهقَها تماماً
ثَلاثةُ أشخاصٍ مُلتحين
هكذا نجت النّجمة الأسيرةُ
وسطَ الصّراخ والحَمْحمة
(ودون التفاتٍ إلى فضائل
شجرةٍ عمرها مئةُ عام).

تَزحْلَقَتِ **النّجمة** على سُكّة حديد
واسْتأنفت سيرَها
تاركةً على شجرة التّين المُرهقَة
صوفاً أبيض.

ندموا، إزاءَ طيبة **النّجمة** المشعّة،
لأنهم أساؤوا التّعامل مع شجرةٍ عَجُوزٍ
واعتذروا لظلالهم
(لأنهم وحدهم و لم يكن هناك ما هو أفضل).

هاهم بدورهم يرحلون
يُحرّك المجوس الثّلاثة حواجبهم الكبيرة
في ليلٍ نيّر
وفيما كانوا يَرُصّونَ
هداياهم الثّمينة في صناديقهم
(ذهب، بخورٌ، ومُرّ)
كانت أحصنتهم تترك على العشب
رَوْثاً جميلاً مُذَهّباً كأنّه البُخْل.

قال ميلشيور لغاسبار*
وقال غاسبار لبالتازار:
«لِنَبتهجْ لأنّ إيمانَنا واحدٌ
وحبّنا واحدٌ
على طريق بيت لحم...»
ثُمّ أمامَ هذه الرّوح المشتركة الجديدة
حَيّا كلٌّ منهم الآخر
واعترفوا أنّهم
كانوا مجوسيّاً واحداً على ثلاث مطايا.

* Melchior Gaspard Balthazar

غرفة الفندق
بيت لحم ليلاً.
توقّفت ساعات الرّمل عن السّيَلان
وبَرُدَتْ الآبار.
إنه الشّتاء
وعلى عتبة فندقٍ مغلق
كانت ماري ويوسف والحمار
يفتحون عيونهم الفقيرة

صاحب الفندق، من النّافذة
مَن يدقّ على هذا الباب؟

يوسف
نحن.

صاحب الفندق
من «نحن»؟ هذان الشّبحان، أحدهما ناعمٌ
والآخر خَشِن.

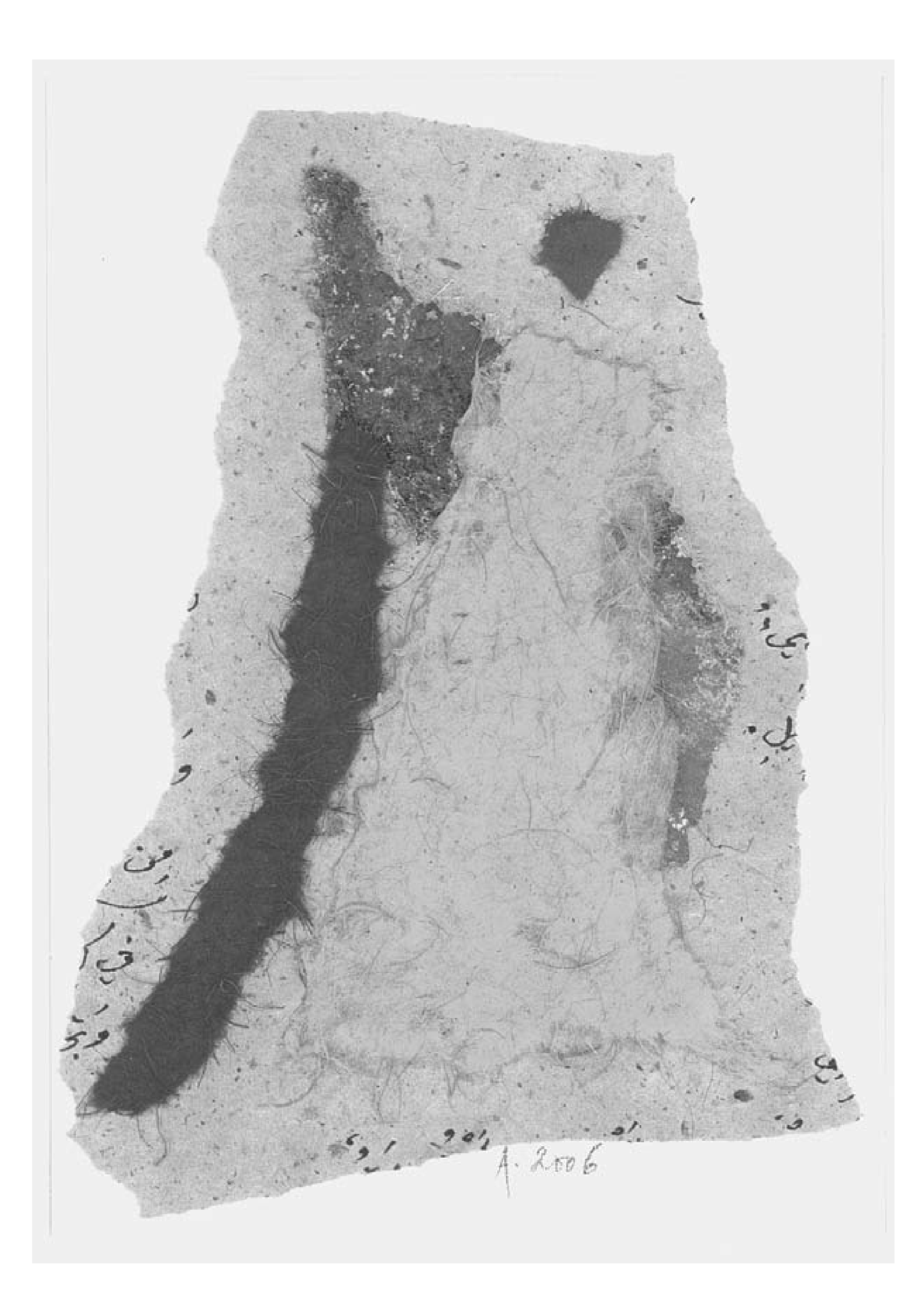
يوسف
ماري ويوسف من الجليل.

صاحب الفندق
وهذا الكلب الكبير؟ الذي أراه من هنا.

يوسف
إنه حمارنا الصّغير.

صاحب الفندق
هذا ما يقال دائماً لخداع النّاس الطيّبين. إنّه كلبٌ كبيرٌ بقرْنين. ألديكم، على الأقلّ، سلسلةٌ لربطه؟ سأنزلُ بصحبة قنديلٍ لأفتح لكم.





يوسف
حمداً لله!
طيّبٌ قلبُ هذا الرّجل.

الحمار، مفكّراً
الطيّبُ القلب هو أنا!

يوسف
هذا الفندق ليس فخماً فهو يلائمنا، يا ماري. غرفة بسريرٍ واحد ليست غالية.

الحمار، مفكّراً
ماري تنام في السّرير، ويوسف ينام على الأرض!

صاحب الفندق، فاتحاً البابَ بحذر
لِنُشَاهد هذا الكلب... حَقًّا، إنه حمار. سلامٌ لكم جميعاً، إلاّ الحمار. قبل الكلام على المطر والصّحو، لِنتحدَّثْ في شؤون العمل. تبحثون عن غرفة؟

يوسف
غرفة لِنُمضيَ اللّيل.

صاحب الفندق، ناظراً إلى الحمار
يُشْبِهُ من جديدٍ كلباً.

الحمار، مفكّراً
سأغضب أخيراً.

يوسف
يَابْنَ عمي، أيّها اليهوديّ الطيّب، زوجتي متعبة، وينبغي أَنْ ترتاح. أَعْطِها غرفةً، حبًّا بالقريب.

صاحب الفندق
قولٌ جميلٌ يطلعُ مِن قَلْبٍ كبير. ادخلوا، ادخلوا! أنتم هنا في بيتكم كمثلي أنا.

الحمار، مفكّراً
يوسف، يوسف، اسأله عن السّعر.

يوسف
شكراً لِحُسْنِ هذه الالتفاتة. وبما أنّه ينبغي الدّفع نَقْداً...

صاحب الفندق
باللهِ عليك! هل تضع مَروءتي موضع الشكّ؟ أنتم ضيوفيَ الأعزّاء.

يوسف
ذلك أنّنا... فقراء...

صاحب الفندق
آه!... لكنكم شرفاء: الشّرَف ضَمانُ الغِنى، عاجِلاً أو آجلاً حسناً، سوف نستبق الأمر، وأقدّم لكم ما تنعمون به، منذ هذا المساء. غرفة بستّ نوافذ تليق بكم تماماً.

الحمار، مفكّراً
كيف يمكن دفع ثمنها؟

يوسف
ستّ نوافذ! لا أريد أن أَعيبَ هذه الغرفة، غير أنّها فوقَ طاقاتِنا.

الحمار، مفكّراً
خصوصاً أنّ الهواء بارد.

صاحب الفندق
الخلاصة، تريدون أن تناموا مَجّاناً!

يوسف
لا نريد ذلك. (يظهر قطعة نقد). من يدي إلى يدك: هذا ما ندفعه.

صاحب الفندق
قطعة نقديّة مثقوبة ونحاسيّة؟ لن أستقبل حجلاً بهذا السّعر! أعطوني قطعة جيّدة وسأعطيكم غرفةً بنافذةٍ صغيرة.
ست نوافذ، هذا كثيرٌ فعلاً!

يوسف
لأننا... لا نملكُ شيئاً.

صاحب الفندق
أعطني إذاً حمارك.

يوسف
هذه القطعة المثقوبة، يَابْنَ عمّي، أيّها اليهوديّ الطيّب، إضافةً إلى رَوْثِ الحمار من أجل حديقتكَ، إن شئت.

فيما كانا يتناقشان (يوسف وصاحب الفندق)، وفيما كان الحمار يفكّر، يظهر المجوس الثلاثة بلباسٍ أحمرَ مُذهَّب، على أحصنتهم البرونزيّة وكانت النجمة قد توقّفت فوق الفندق، لكي تَرى.

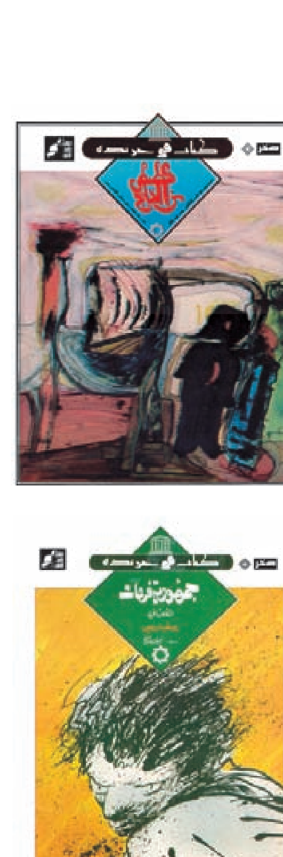
طردَ صاحبُ الفندق
ماري ويوسف والحمار
الذي كان قد بدأ يعرج.
ثمّ انحنى أمام المجوس
عارضاً عليهم من أجل راحتهم
غرفةً بستمئة نافذة.
(ينحني صاحب الفندق أمام مجوسيين اثنين، فقد كان الثالث أسودَ مختلطاً بسواد اللّيل)

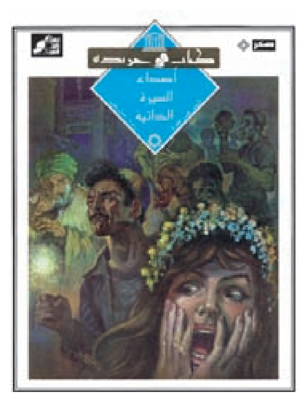
وصعد المجوس إلى الشّرفة
حيث تقدر العين أن ترى بعيداً
ورأوا **النّجمةَ** تتابع طريقَها
وراء شبحينِ وكَلْبٍ كبير.
عند ذلك غادروا الفندقَ صاخبين
وبقي صاحبه بلا سلامٍ
وبلا مالٍ وبلا **رجاء**...

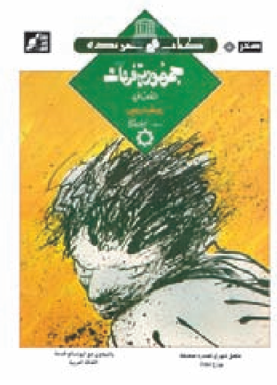
لا بولكا *
يقال عندما وُلد الطّفل
في إصطبْلٍ بائس
دون زهورٍ وبلا طبيب
يقال إنّ الحمار والثّور الأَرْيَحيّيْن
نفَخا فوقه لأنه كان بَرْداناً.
ليس هذا رأيي
(ولا رأيَ طفولتي):
كان الحمار والثّور يرقصان البُولْكا!
خطوة هنا
خطوة هناك
قرونٌ وحوافر
ثم ثلجٌ أبيض.
هل يَردُ
الطّفل – المَلِكُ
الذي تغطّيه الملائكة؟
الحمارُ والثّور يرقصان البولكا!
آهِ يا ليلة الميلاد!...
أيّتها اللّيلة البيضاء.

(ديسمبر، 1956).

* La Polka.





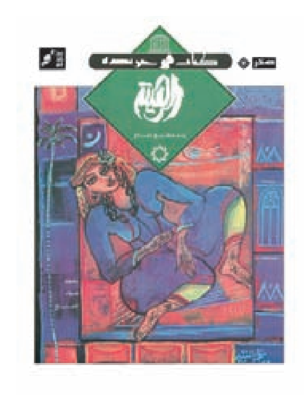




الجاحظ
مختارات

الشعر
الفلسطيني

توفيق الحكيم
شمس النهار



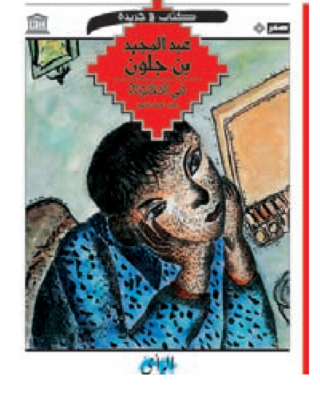

نزار قباني
مختارات



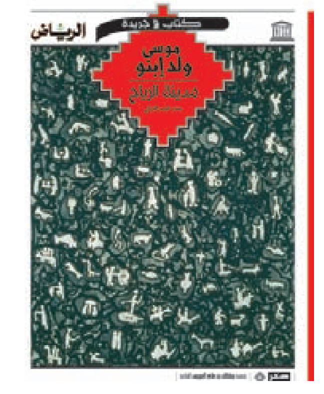
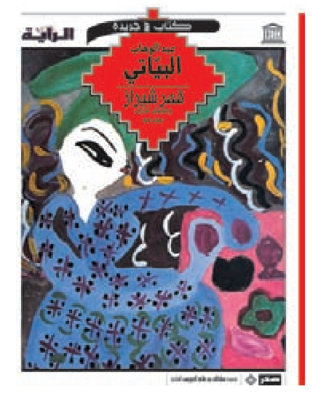
غالب هلسا
مختارات

شعر
من الخليج

طه حسين
الأيام

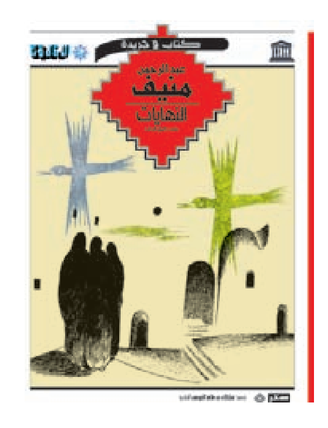




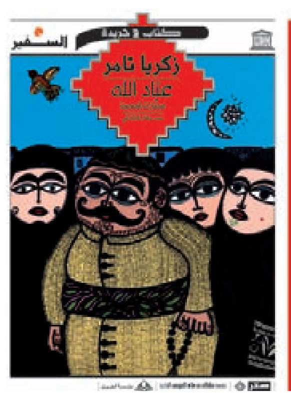
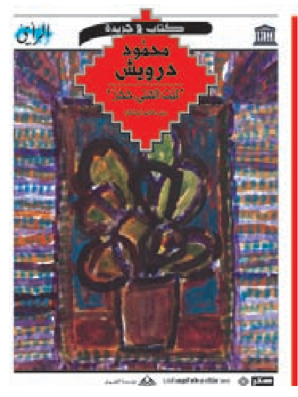
مي زيادة

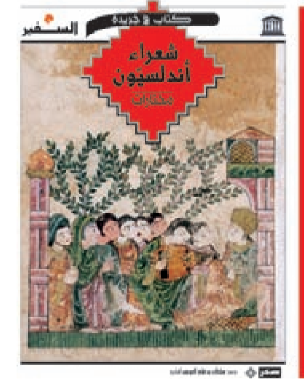
كتاب في جريدة

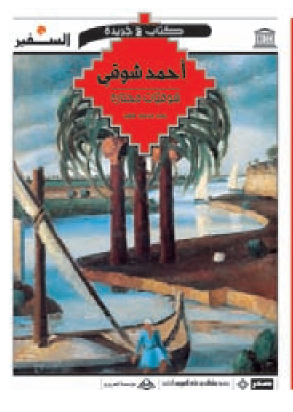

كتاب في جريدة
خليل حاوي

كتاب في جريدة
منيف
النهايات

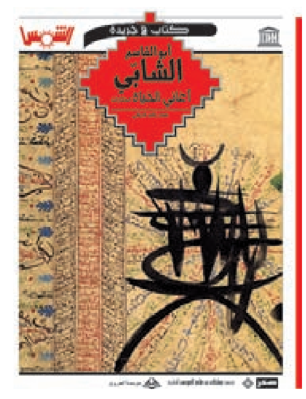
كتاب في جريدة
أدونيس

كتاب في جريدة
لطيفة الزيات

كتاب في جريدة
جبران
مختارات

كتاب في جريدة
زكريا تامر

كتاب في جريدة
محمود
درويش

كتاب في جريدة
يحيى حقي

كتاب في جريدة
شعراء
أندلسيون

كتاب في جريدة
بهاء طاهر

كتاب في جريدة
أحمد شوقي

كتاب في جريدة
أميل حبيبي

كتاب في جريدة
الشابي

كتاب في جريدة
إدوار الخراط

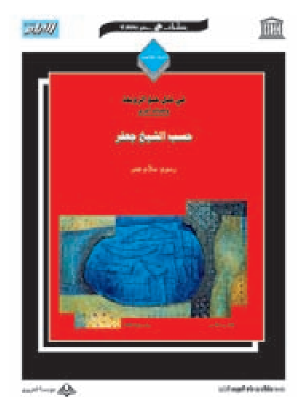
كتاب في جريدة
نازك الملائكة

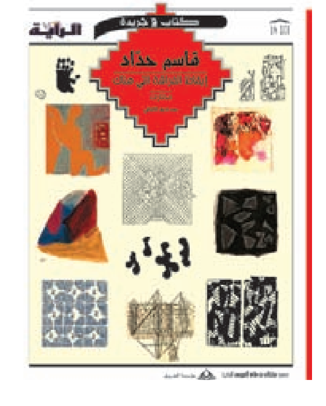
كتاب في جريدة
علي
بن أبي طالب

كتاب في جريدة
فدوى طوقان

كتاب في جريدة
ابراهيم أصلان

كتاب في جريدة
المعري

كتاب في جريدة
عبد الله
بن المقفع
كليلة ودمنة


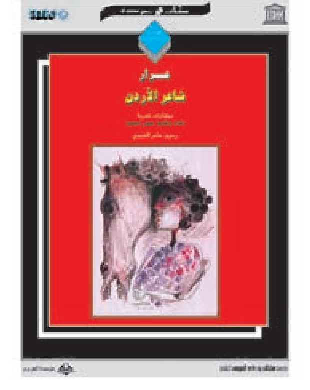
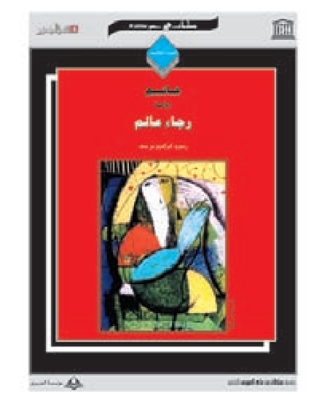
كتاب في جريدة
أبو حيان
التوحيدي
مختارات

كتاب في جريدة
قاسم حداد

كتاب في جريدة
الجواهري

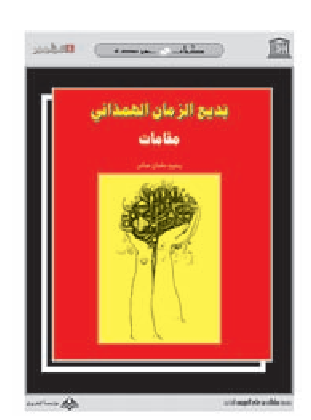
كتاب في جريدة
ابراهيم الكوني
التبر

محمد الماغوط

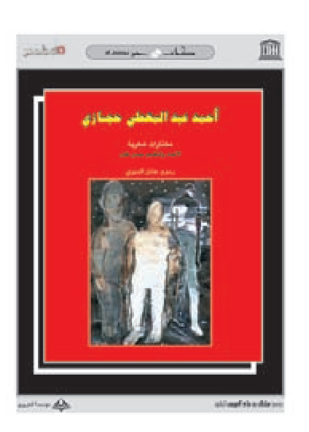
أنسي الحاج

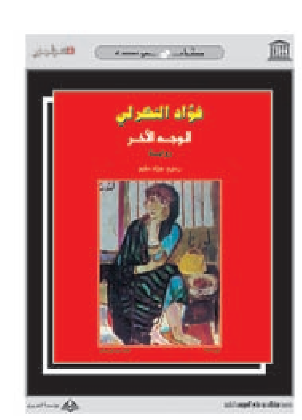
جمال الغيطاني

عرار
شاعر الأردن

رجاء عالم


كتاب في جريدة
سعدي يوسف
جنة المنسيات


بديع الزمان الهمذاني
مقامات


يحيى يخلف
رواية


أحمد عبد المعطي حجازي
مختارات شعرية


فؤاد التكرلي
الوجه الآخر


تجديد الفكر العربي
زكي نجيب محمود


عمر أبو ريشة


ليلى المريضة في العراق
زكي مبارك


مختارات شعرية
عبد الله البردوني


الضوء الأزرق
حسين البرغوثي


حارث المياه




سنية صالح


الوتد
خيري شلبي


الأمير الصغير


كتاب الأمير

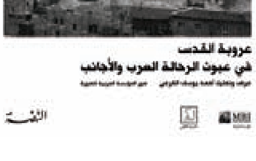

الإدريسي
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق


الفردوس اليباب


امرؤ القيس في باريس


مذكرات أميرة عربية




عروبة القدس
في عيون الرحالة العرب والأجانب


ديوان الأطفال

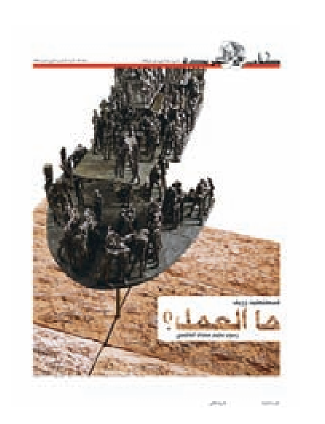

تجاذب اليقظة والحلم


الشعر السوداني


نحو رؤية إنمائية للعالم العربي


الثقافة العربية وعصر المعلومات
نبيل علي


عبد العزيز المقالح


ما العمل؟


الأرض يا سلمى


كتاب في جريدة



العدد المائة

وربعُ مليار «كتاب في جريدة»

كان هيردر Herder، الفيلسوف الالماني في نهاية التاسع عشر يقول في «تأريخ الحضارة» أن مساهمة الاغريق كانت الفلسفة والرومان جاءوا بالقانون أما الفرس فقد أبدعوا في الفنون والعرب في الشعر واللغة.. ثم يضيف بأن اللغة العربية قد لعبت دوراً في توحيد القبائل والأقوام التي كانت تعيش في الجزيرة العربية وخارجها يتجاوز الدور الذي كان للّغة اللاتينية في أوربا..

وإذا كان الأمر كذلك وهو ما يشهد به التراث الأدبي والفكري العربي طوال تأريخه فكيف نفسّر أن الأمة العربية اليوم تقع في أسفل سلم الاحصاءات العالميّة الخاصة بعلاقة شعوب العالم بالقراءة ونشر المعرفة وآخرها أن العربي يقرأ بمعدل 1/300.00 أي بكتاب واحد لكل 300.000 عربي وأن بلداً أوربياً صغيراً كبلجيكا بتسعة ملايين نسمة يقرأون أكثر من أمّة الضاد مجتمعةً..
كيف حصلت هذه القطيعة.. والأهم من ذلك ماذا نعمل لمواجهة هذا الخطر الذي يتهددنا بالامّحاء إنسانياً.. إذا استمر الخط البياني الهابط في معدّل القراءة فإننا سنصير نموذجاً عربيّاً للهنود الحمْر وستتحول شعوبنا إلى «فيترينات» صناديقَ عرض زجاجية، للفولكلور والغرائب «الايكزوتيك» كما يسميها المصطلح السياحي الغربي.
إن ولادة «**كتاب في جريدة**» ونجاحه، رغم كل التحديات التي واجهته ولما تزل، تمثل الرد الأنجع الذي قدّمته الحاضرة الثقافية العربية لهذا الخطر الداهم.. وهو مؤشر يؤكد أنه ما تزال هناك قوى إنتاجية حيّة في الثقافة العربية قادرة على إلتقاط مصدر الضوء والاحتماء به والعمل باشعاعيّته متجاوزة العديد من الاشكاليات المادية والفكرية والسياسيّة وحتى المهنية والشخصيّة..
لم يكن أحد يتوقع أن تتحول كبريات الصحف العربية اليوميّة إلى جهاز متنوع متكامل متعاضد من أجل الدفاع عن الفكر والابداع والفن التشكيلي العربي تحت مظلة منظمة اليونسكو، يعمل دون توقف طيلة أكثر من عشرة سنوات في النشر والتوزيع والاختيار والبناء المشترك في منطقة هي من أكثر المواضع حساسيّة في الحياة اليومية العربيّة ألا وهي «الإعلام والثقافة».
وكانت المهمّة في بدايتها «مستحيلة» في نظر أغلب المراقبين الاعلاميين والمفكرين وحتى الدبلوماسيين داخل منظمة اليونسكو..

ما زلت أتذكر مدير عام اليونسكو السابق فديريكو مايور عام 1995 يمسك بالعدد «صفر» أمام المجلس التنفيذي وأنا إلى جانبه وهو يقول «**تحققت المعجزة**» ليضيف: «لكي نحقق عملاً جبّاراً لا بدّ من العوم ضد التيّار».. كان أحد الصحفيين العرب يقول: سننتظر العدد الثالث!
ها هو العدد المائة بين أيدي أبناء اللغة العربية في الوطن العربي وخارجه وبه نكون قد أهدينا قرابة ربع مليار كتابٍ في جريدة..

ليس العدد وحدَه الذي يبدو وكأنه أسطوريّ بل خارطة الانجاز وملامحُه العميقة هي التي تمنحه كينونة تتجاوز حدود التصديق لتضعَهُ في مَصاف خارقٍ لواقع الثقافة والحياة العربية.. هذه الملامح تتلخص في كونه المطبوعَ الوحيدَ الذي يُنشرُ في كل أنحاء الخارطة العربية بنفس الشكل ويصل بنفس اليوم باصرار وتحدٍّ طيلة عشرة سنوات لمائة مرّة ليقول، باستطاعة الكلمة وعمقها وسطوعها، أن هذه الأمة تبقى مُوحّدةً متشابكةَ الظلالِ والأعماقِ والأذرُع والأصواتِ والأحلام.. أجل إنه العلامة الفارقة الحقة لعروبة ظلت زماناً أضغاث أحلَام..

إن الصحافة العربيّة بطلةَ هذا الانجاز قد إنتقلت في علاقَتِها مع الثقافةِ من مُساهم هامشيٍّ في نَشرِ مُقتطفات ونُصوص ودراسات هنا وهناكَ لتُصبحَ مع «**كتاب في جريدة**» معهداً جماهيرياً لنقل الكَلمة وإشاعَة الفن التشكيلي من خلال عمل معرفي متكامل مُؤسسةً لدور تاريخي في بناء الهوية الحضارية للعرب اليوم.. وهي بهذا تعتبر رائدة عالميّة بَعد أن تجاوزت الصحفَ الاسبانية التي توقَّفَت في مسيرتها مع مشروعها Periolibros بعد ست سنوات.

إن اللقاء التأريخي بين «كتاب في جريدة» ومؤسسة MBI Foundation برئاسة الشيخ محمد بن عيسى الجابر، المبعوث الخاص للمدير العام لمنظمة اليونسكو للتربية والتسامح والسلام والديمقراطية قد أعطى لهذا الكيان بعد سبع سنوات من مسيرة تأسيسية حافلة، الحُضنَ الراعيَ مُؤسساً لوجودٍ أعمقَ وأصلبَ وفاتحاً الأفق لانجازٍ يَتعاظمُ ويتطورُ.

شوقي عبد الأمير